

رسالة:

«ومرّة أُخرى:

**رفقاً - أجهلُ السّنة - بأجهلِ
السّنة»**

لفَضِيلَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْعَبَّادِ الْبَدَرِ

-حفظه الله ورعاه-

شرح

فَضِيلَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْحَلَبِيِّ

-حفظه الله-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس الأول

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. وَبَعْدُ:

فهذا لقاءٌ استثنائيٌّ، نخرج فيه - شيئاً ما - عن درسنا في شرح كتاب «الإبانة»؛ لتذكّر كلماتٍ ذهبية صدرت من بعض أفاضل مشايخنا - في هذا الزمان - وذلك قبل أيام قليلة -.

وهذه الكلمات: هي دواءٌ لداءٍ، دواءٌ نرجو أن يكون ناجعاً لداءٍ استشرى خطرُهُ، واشتدَّ ضررُهُ؛ ففرّق دُعاةُ أهل السُّنَّةِ شَذَرَ مَذَرَ - بغير رحمة، ومن دون رَأْفَةٍ - وللاسف الشديد! -.

فما كدنا ننتهي من معالجة داءِ فتنَةِ التَّكْفِيرِ؛ حتّى خرج علينا داءٌ آخر - أيضاً - خطير: وهو (فتنة التَّبْدِيعِ).

ولئن كان التَّكْفِيرُ - في أصلِهِ - مشروعاً، وأصلاً من أصول الأسماء والأحكام؛ فَإِنَّ التَّبْدِيعَ كذلك؛ فهو في أصلِهِ مشروع، وهو أصل من أصول الأسماء والأحكام؛ لكنَّ الانحراف الذي طغى على مسألة التَّكْفِيرِ غُلُوءاً؛ مَسَّ وأصاب مسألة التَّبْدِيعِ - سواءً بسواء -.

لذلك: كان لا بُدَّ من نهضةٍ أخرى تُردُّ فيها هذه الانحرافات، ويُنقِض من خلالها هذا الغُلُو - كما حصل مع فتنة التَّكْفِير كذلك-.

وَمِنَ الْمُقَرَّرِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْخَطَأَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنَ الْخَطَأِ فِي الْعُقُوبَةِ.

فَأَنْتَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ!- يَا طَالِبَ الْعِلْمِ!- إِذَا كُنْتَ مُتَكَلِّمًا -وَلَا بُدَّ-؛ فَلْتَتَكَلَّمْ بِالتَّحَوُّطِ لِإِدِينِكَ، وَالرَّحْمَةِ لِنَفْسِكَ -أَوَّلَ مَا تَرَحَّم-، وَالرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». وَالْكَلَامُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا -كَمَا قُلْتُ- يُعَالِجُ مَسْأَلَةً مُهِمَّةً؛ وَهِيَ: مَسْأَلَةُ التَّبْدِيعِ وَالْغُلُوِّ الْوَاقِعِ فِيهِ؛ لَا يُعَالِجُ قَضَايَا أُخْرَى -مِنْ قَضَايَا الشَّهَوَاتِ، مِنْ قَضَايَا الْفِسْقِ أَوْ الْفُجُورِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَاتِ-؛ فَإِنَّ لَذَلِكَ أَبْوَابَهُ، وَلِهَذَا أَبْوَابَهُ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَخْلِطَ؛ وَبِخَاصَّةٍ: أَنْ قَضِيَّةَ التَّبْدِيعِ -فِي إِطَارِ أَهْلِ السُّنَّةِ- كِلَا الطَّرَفَيْنِ؛ بَلِ الْأَطْرَافُ تَظُنُّ أَنَّهَا عَلَى هُدًى؛ فَهِيَ تَتَكَبَّرُ فِيهَا تَقُولُ أَوْ تَسْكُتُ، أَوْ تَفْعَلُ أَوْ تَذَرُ عَلَى حُجَجٍ وَدَلَائِلَ وَبَيِّنَاتٍ...؛ لَا مَانِعَ -أَبَدًا- مِنْ أَنْ نَقُولَ: (أَخْطَأَ فُلَانٌ)، أَوْ (غَلَطَ فُلَانٌ)، أَوْ (زَلَّ فُلَانٌ) -سِوَاءَ أَكَانَ كَبِيرًا، أَمْ صَغِيرًا-؛ لَكِنَّ الْغَلْطَ الْعَظِيمَ: أَنْ يُؤْخَذَ النَّاسُ -كِبَارًا، أَوْ صَغَارًا- بِالتَّضْلِيلِ وَالتَّبْدِيعِ وَالْإِسْقَاطِ أحيانًا كَثِيرَةً بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ! وَأحيانًا أُخْرَى بِمُجَرَّدِ الْقِيلِ وَالْقَالِ! وَأحيانًا ثَالِثَةً بِصُورَةٍ انتِقَائِيَّةٍ!! لَوْ أَنَّ زَيْدًا وَقَعَ بِهَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ؛ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُسْكُتُ فِيهَا عَنْ عَمْرٍو!! وَكَأَنَّ جِدَارَ زَيْدٍ -هَذَا- مُنْخَفَضٌ؛ فَيَسْهَلُ تَسْلُكُهُ، وَيَسْهَلُ الرُّقْيُ عَلَيْهِ وَالْإِرْتِقَاءُ عَلَيْهِ؛ بَيْنَمَا جِدَارُ ذَاكَ الْآخَرِ -مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ وَاقِعًا فِي نَفْسِ الْمَصِيبَةِ- أَوْ فِي الْمَصِيبَةِ نَفْسِهَا-؛ لَكِنْ: الْحِسَابَاتُ تَخْتَلِفُ، وَالنَّظَرَاتُ تَتَغَيَّرُ!! فَهَذِهِ طَائِمَةٌ!!

لَا أُرِيدُ أَنْ أَطِيلَ؛ عَسَى أَنْ يُعِينَنَا اللَّهُ عَلَى إِتِمَامِ قِرَاءَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَسْتَاذُنَا الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الْعَبَّادِ -حَفِظَهُ اللَّهُ- تَعَالَى - بِعَنْوَانِ «مَرَّةٍ أُخْرَى: رِفْقًا -أَهْلَ السُّنَّةِ- بِأَهْلِ السُّنَّةِ». وَالْعَنْوَانُ يُشِيرُ إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ؛ وَهُوَ أَنَّهُ -حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ- كَانَ قَدْ كَتَبَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَبْلُ، وَهِيَ هُوَ يُؤَكِّدُهُ، وَهِيَ هُوَ يُبَيِّنُهُ، وَهِيَ هُوَ يُصَرِّحُ عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى فِتْنَةٍ خَرَجَتْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَتَكَلَّمْتُ

بلا معرفة؛ لثُشْكِكَ بالشيخ، وتوجيهاته، وكلماته، وتنبهاته؛ لتقول: (الشيخ لا يقرأ!) (الشيخ لا يعرف ماذا يجري)!! (الشيخ يتكلم عن معلومات سابقة)!!! وهم في ذلك -كله- مُدَّعون؛ بل أنا أقول: مُفْترون كاذبون!

فأنا علم يقيني بفضيلة الشيخ -حفظه الله ورعاه- أنه على متابعة تكاد تكون تامة لهذه الأمور، وتوثق إليه الرسائل، والكلمات، والانتقادات -أولاً بأول-؛ لأنه ذو مكانة عالية سامقة في دُنيا العلم والسنة -في هذا الزمان- حفظه الله ورعاه.

يقول:

□ الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه.
وبعد؛ فإن المشتغلين بالعلم الشرعي من أهل السنة والجماعة السائرين على ما كان عليه سلف الأمة ..
◆ هكذا ينبغي أن نفهم منهج أهل السنة والجماعة بما كان عليه سلف الأمة الأولون -رحمهم الله- تعالى -أجمعين-.

□ هم أحوج -في هذا العصر- إلى التآلف، والتناصح فيما بينهم ..
◆ نعم؛ لأن هاتين الخصلتين مهمتان عظيمتان جليلتان، يجب سلوكهما، وينبغي خوضهما -قبل أن نقول: فلان مُبتدع، وفلان ضالُّ مُضِلُّ، وأن نرمي الناس لجرّد خطأ وقعوا فيه باجتهاد- لا عن شهوة، ولا عن كذب وافتراء، ولا عن تقوّل وافتئات-؛ وإنما في أمر له وجهته، وله علاماته-.
ولا ينبغي أن يُقال في هذه الدعوة الصادقة البارة إلى التآلف والتناصح ما قيل -قديماً- أنها على مذهب قول القائل: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويَعُذّر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)! لا؛ هذا بابٌ وذاك باب، التآلف والتناصح بين أهل السنة أعظم بابٍ وأهداه؛ بينما هذه القاعدة -الظالم أهلها- قد تكون فتحاً لباب شرٍّ هو أسوأ بابٍ!

□ لا سِيَّما وَهُمْ قَلِيلٌ قَلِيلٌ بِالنَّسْبَةِ لِلْفِرْقِ وَالْأَحْزَابِ الْمُنْحَرِفَةِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ ..

◆ وذلك عَلَى حَدِّ قولِ الشَّاعر:

وقد كانوا إذا عُدُّوا قَلِيلًا .. وقد صارُوا أَعَزَّ مِنَ القَلِيلِ
انظُرُوا إلى هَؤُلاءِ -أَهْلُ السُّنَّةِ- في كُلِّ زمانٍ، وفي كُلِّ مكانٍ -فيما نحن نَعِيشُهُ؛ بل قَبْلَ ذلك-؛
نَراهُم قَلَّةً؛ لذلك: جاء وصف النَّبي -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام- للغُرباء: بأنَّهم أناسٌ صالحون قليل في
أناس سُوء كثير، مَنْ يَعصِيهِمْ أَكْثَرُ مَنْ يُطِيعُهُمْ.

□ وقَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سَنَواتٍ، وفي أواخرَ زَمَنِ الشَّيْخِينَ الجَلِيلِينَ -شَيْخِنَا
الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ بَارٍ، والشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَثِيمِينَ- رَحِمَهُما اللَّهُ: ..
◆ وأنا أَقول -ها هُنا- وَأُضِيفُ: وكذلك في زَمَنِ الإِمَامِ الألبانيِّ -رحمَهُ اللَّهُ- ..

فقد كان هَؤُلاءِ الأئمَّةُ الثَّلَاثَةُ يَصُدُّونَ كأنَّما يَصُدُّونَ عن مَشْكاةٍ واحِدةٍ؛ بل هُم يَصُدُّونَ
عن مَشْكاةٍ واحِدةٍ، وعن مَنهجٍ واحدٍ -وإن تَبَايَنَتْ بَعْضُ اجتهاداتِهِمْ في بَعْضِ المسائلِ؛ فهِذا لَمْ
يَزِدْهُمْ- إن شاءَ اللَّهُ- إلا مَحَبَّةً وأَلْفَةً-.

□ اتَّجَهِتْ فِتْنَةٌ قَلِيلَةٌ جَدًّا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إلى الاِشْتِغالِ بالِتَّحْذِيرِ مِنْ بَعْضِ
الأَحْزَابِ المُخَالَضَةِ لَمَّا كانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَهُوَ عَمَلٌ مَحْمُودٌ وَمَشْكُورٌ.
◆ نقول: في هَذِهِ الكَلِمَةِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِقولِهِ: «اتَّجَهِتْ فِتْنَةٌ قَلِيلَةٌ جَدًّا مِنْ أَهْلِ
السُّنَّةِ»؛ إشارَةً إلى أن هَذَا الاتِّجاهَ -في الرَّدِّ والتَّحْذِيرِ- ليس فَرْضًا عَيْنِيًّا، ولا واجِبًا على كُلِّ مُسْلِمٍ؛
وإنَّما هُوَ واجِبٌ كَفائِيٌّ؛ إذا قامَ بِهِ البَعْضُ سَقَطَ عَنِ الباقين؛ كما قال النَّبي -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام-:
«يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغالينَ، وَاتِّحَالَ المُبْطِلينَ، وتَأْوِيلَ
الجاهِلينَ».

أَمَّا مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْغُلَاةِ وَيَدَّعُونَهُ - فِي هَذِهِ الْيَّامِ - مِنْ إِرْزَامِ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَنْشَغَلَ وَيَشْتَغَلَ بِهَذَا التَّحْذِيرِ، وَبِهَذَا الرَّدِّ؛ بِحَيْثُ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مَتَّهَمٌ، وَإِنَّهُ قَدْ يَقُولُونَ: مُنْبَعٍ! أَوْ قَدْ يَقُولُونَ: مُضَيِّعٍ! أَوْ يَقُولُونَ غَيْرَ هَذَا وَذَاكَ...!!

وَأَنَا أَقُولُ - هَاهُنَا -: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْحَلَةَ - نَفْسَهَا - وَهِيَ مَرْحَلَةُ اشْتِغَالِ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ - وَهُمْ الْفَتَى الْقَلِيلَةُ جَدًّا - كَمَا وَصَفَهُمُ الشَّيْخُ الْعَبَّادُ - حَفَظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ - فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقِيَّامَاتِ -؛ أَقُولُ: فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَفِي هَذَا الظَّرْفِ - نَفْسِهِ - أَطْلُقُ شَيْخُنَا الشَّيْخَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى بَعْضٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ - فِعْلًا - جَزَائُهُمْ اللَّهُ خَيْرًا - قَصَبِ السَّبْقِ - فِي ذَلِكَ الْحِينِ - فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ، وَكَشَفِ ضَلَالَاتِهِمْ وَانْحِرَافَاتِهِمْ؛ حَتَّى أَطْلُقَ شَيْخُنَا - كَمَا أَشْرْتُ - عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ: (حَامِلٌ لَوَاءِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ)؛ فَهَذِهِ كَلِمَةٌ مِنَ الْحَقِّ، وَكَلِمَةٌ حَقٌّ قِيلَتْ فِي إِطَارِ مَعَيَّنٍ، وَفِي زَمَنِ مَعَيَّنٍ، وَضَمَنَ ظُرُوفَ مَعَيَّنَةٍ، فَسَحَبُهَا عَلَى غَيْرِ زَمَانِهَا - وَقَدْ تَغَيَّرَتْ كَيْفِيَّتُهَا، وَتَغَيَّرَ اتِّجَاهُهَا -؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

□ وَلَكِنَّ الْمَوْسِفَ: أَنَّهُ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخَيْنِ ..

◆ بَلْ أَقُولُ: الْمَشَايِخُ الثَّلَاثَةُ؛ فَهَمَّ - جَمِيعًا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -؛ فَإِنَّهُمْ مَاتُوا فِي ظَرْفِ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ.

□ اتَّجَهَ بَعْضُ هَذِهِ الْفِتَنِ ..

◆ إِذَا لَيْسَتْ كُلُّهَا - هِيَ نَفْسُهَا قَلِيلَةٌ -؛ فَاتَّجَهَ بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ الْقَلِيلَةِ.

□ إِلَى النَّيْلِ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الدَّاعِينَ إِلَى التَّمَسُّكِ بِمَا

كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ - مِنْ دَاخِلِ الْبِلَادِ وَخَارِجِهَا - ..

◆ هذه إشارة -أيضاً- إلى واقع أليم قد تغيّرت اتجاهاته من الرّدّ والتّحذير من أهل البدع إلى الرّدّ والتّحذير والتّبديع والتّضليل والإسقاط -بل الحرب الضروس- على أهل السّنة لمجرّد خطأ، أو خطّأين، أو ثلاثة، أو عشرة، أو أكثر، أو أقلّ..

مَنْ يعمل لا بُدَّ أن يُخطئ، بقدر ما تعمل بقدر ما تُخطئ، لا تُقاس الأمور بكميّة الأخطاء؛ وإنما تُقاس بكيفيّتها.

فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية: أنّ التّبديع والإخراج من أهل السّنة لا يكون إلا ضمن تأصيلات يكون فيها خروج عن منهج أهل السّنة في أصول المسائل -سواء منها في مسائل الصّحابة، في مسائل القدر، في مسائل الإيذان، في مسائل الصّفات، وغيرها من مسائل كبار-.
وذكر الشّاطبي أنّه قد يلحق بهذا الصّنف من تعدّد وتكاثر أغلاطه الجزئية حتّى دلّ ذلك -أو يدلّ- على خلل في أصل المنهج.

وقد ذكر الخلّال في كتاب «السّنة»، عن الإمام المجلّ أحمد بن حنبل، أنّه قال: (إخراج الرّجل من السّنة شديد).

نعم؛ بينما نراه -اليوم- أسهل ما يكون!!
في مجلس واحد قد يُبدع بعض الغلاة ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة!! حتّى صاروا يتنافسون: من الأكثر تبديعاً، ومن الأشدّ عُنفاً، وكلّما كنت عنيفاً، كلّما كنت شديداً؛ كلّما كنت قوياً في السّنة!!
وهذا انقلاب في المفاهيم، وانعكاس في التّصورات! أين سلف الأمة من هذه المعاني -كما سيأتي عمّا قريب-؟!

□ وكان من حقّهم عليهم ..

◆ أي: على هؤلاء الإخوة الذين هم من أهل السّنة -من داخل البلاد، وخارجها- بمن وقعوا في أخطاء-.

□ أن يَقْبَلُوا إِحْسَانَهُمْ، وَيَشُدُّوا أَرْزَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُسَدِّدُوهُمْ فِيَمَا حَصَلَ مِنْهُمْ
مِنْ خَطَا - إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ خَطَا - ..

◆ وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا .. وَافْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
كَثِيرَةٌ هِيَ الْمَسَائِلُ الَّتِي الْمُدَّعَاةُ - الْيَوْمَ - أَنَّهَا خَطَا - نَتَكَلَّمُ عَنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ فِي إِطَارِهَا
الْعِلْمِيِّ -، وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ - وَلَا قَرِيبَةً مِنْ ذَلِكَ، وَلَا دَانِيَةً مِمَّا هُنَاكَ -؛ وَإِنَّمَا - فَقَطْ - كَأَنَّهَا نَحْنُ
فِي ثُكْنَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ، أَوْ فِي أَوَامِرٍ حَزْبِيَّةٍ.

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا .. فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ
قَالَ فَلَانُ: (فَلَانٌ مُبْتَدِعٌ)؛ لَا يُرَاجَعُ، وَلَا يُنْظَرُ، وَلَا يُسَأَلُ عَنْ دَلِيلِهِ، وَإِذَا ذَكَرَ دَلِيلَهُ، وَسُئِلَ عَنْ
دَلِيلِهِ؛ لَا بَحْثَ!! وَإِنَّمَا: وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا!! وَهَذَا خَلَلٌ!!
الأَصْلُ - فِي هَذَا الْبَابِ - بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّسْدِيدُ وَالْمُقَابَرَةُ، وَالتَّصْحُحُ، وَشَدُّ الْأَرْزِ، لَا الْقَطِيعَةُ
وَالْهَجْرُ، وَالتَّضْلِيلُ وَالْإِسْقَاطُ.

□ ثُمَّ لَا يَشْغُلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِعِمَارَةِ مَجَالِسِهِمْ بِذِكْرِهِمْ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ؛ بَلْ
يَشْتَغِلُونَ بِالْعِلْمِ -اطِّلَاعًا، وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً- ..

◆ لَوْ حَصَلَ هَذَا الَّذِي حَصَلَ، وَأَنَّ فَلَانًا أَخْطَأَ؛ يُنَاصِحُ، وَيُكَمِّلُ بِالتَّذْكِيرِ - لَا بِالتَّحْذِيرِ -،
وَبِالنُّصْحِ - لَا بِالْقَمْعِ -، وَبِالْإِظْهَارِ - لَا بِالْقَهْرِ وَالْإِسْقَاطِ -، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ هَذَا؛ أَلْقَى كَلِمَتَكَ وَامْشِرْ -
كَمَا كَانَ يَقُولُ شَيْخُنَا الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ -، وَلَا نَجْعَلُ ذَلِكَ هَمًّا وَدَأْبًا: (فُلَانٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ)، (فُلَانٌ
مُبْتَدِعٌ) .. حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْغُدُوِّ وَالرَّوَاكِحِ، وَالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ .. هَذِهِ صَنْعَةُ الْبَطَّالِينَ! الَّتِي عَرَفَ
الْكَثِيرُ - الْكَثِيرُ - حَتَّى يَمُنَّ لَا يَزَالُونَ بِهِمْ مُغْتَرِّينَ - أَنَّهَا لَا تُسْمَنُ وَلَا تُغْنِي مِنَ الْجُوعِ - لَا فِي عَوْدٍ، وَلَا
فِي رُجُوعٍ -؛ فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَيْسٌ وَيَسٌّ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي لَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا الْخَلَلُ
وَالزَّلُّ، وَالْغَلَطُ وَالشُّطْطُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - ..

وَالْأَصْلُ: الْإِشْتَغَالُ بِالْعِلْمِ -اطِّلَاعًا، وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً- كَمَا قَالَ الشَّيْخُ - حَفِظَهُ اللَّهُ -.

□ وهذا هو المنهج القويم للصّلاح والإصلاح الذي كان عليه شيخنا
الشيخ عبد العزيز بن باز - إمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر - رحمه
الله - ..

◆ فنقول: نعم - والله - هو كذلك.

ولما سئل الشيخ ابن باز عن الشيخ الألباني؛ قال: (لا أعلم تحت قبة الفلك من هو أعلم بالسنة
منه)؛ فهما كفرسي رهان - رحمهما الله، ورضي عنهما - في الدعوة إلى السنة، في الذب عنها، وفي الرد
على من ناوأها.

□ والمشتغلون بالعلم من أهل السنة في هذا العصر قليلون، وهم بحاجة
إلى الازدياد لا إلى التناقص، وإلى التألف لا إلى التقاطع، ويقال فيهم مثل ما
قال النحويون: «المُصَغَّرُ لا يُصَغَّر».

◆ عندما نقول: كتاب؛ نُصَغِّرُه: كُتِبَ، هل هنالك تصغير للكُتِبَ؟ لا يوجد. كتابٌ، أو
كُتِبَ، رجل ورَجِيل، لا يوجد نصف رَجِيل!

وهكذا الشيخ يقول: أهل السنة هم - أصلاً - قِلَّة؛ حتّى هذه القِلَّة لا نحافظ عليها! وإنّا
ننتقصها ونتكس فيها - بغير علم، ولا هُدًى، ولا بصيرة -!! لا شك هذا من الخلل العظيم!
طالما أنّه لا يزال موجوداً شيءٌ من الحرص، وشيءٌ من الاجتهاد، وشيءٌ من المجال للتناصح
والتواصي - من غير إصرارٍ ولا مكابرةٍ، من غير كذبٍ ولا افتراءٍ، من غير شكٍّ ولا امتراءٍ -؛ حينئذٍ:
نفتح المجال؛ أمّا إذا وجدت هذه المعاني الخائنة الخائبة؛ فـ(إلى حيث ألقى رحلها أمّ قشعم)!

□ قال شيخ الإسلام - في «مجموع الفتاوى»، (٥١/٢٨) -: «وتعلمون أنّ من

القواعد العظيمة التي هي جماع الدين ..

◆ أي: مجتمعه وأساسه، ويجوز أن نقول: جماع الدين.

□ تأليفُ القلوب، واجتماعُ الكلمات، وصالحُ ذاتِ البين؛ فإن الله - تعالى - يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، ويقول ﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقوا﴾ ويقول: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ﴾.. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة؛ كما أن الخارجين عنه: هم أهل الفرقة..
♦ وهذا واضح.

لذلك: لما ذكر ربنا اليهود؛ ماذا قال عنهم؟ ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾؛ بينا إبراهيم نفر، شخص، بمفرده؛ ماذا قال الله فيه؟ ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾؛ (أمة): بمعناها اللغوي - بكل مفرداته -؛ هو أمة؛ يؤتم به، وهو بمنزلة الأمة؛ أي: الجماعة الكثيرة - عليه الصلاة والسلام -.

□ وقد كتبت في هذا الموضوع رسالتاً بعنوان «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» - طبعت في عام ١٤٢٤هـ، ثم في عام ١٤٢٦هـ، ثم طبعت ضمن «مجموع كتبي ورسائلي» (٢٨١/٦ - ٣٢٧) في عام ١٤٢٨هـ، أوردت فيها كثيراً من نصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء المحققين من أهل السنة.
♦ نعم؛ لم يبينها إلا على الدليل، لم يبينها إلا على أقوال العلماء والأئمة المستدلين بالكتاب والسنة - حفظه الله ورعاه -.

- وقد اشتملت الرسائل - بعد التقديم - على الموضوعات التالية:
- نعمة النطق والبيان.
 - حفظ اللسان من الكلام إلا في خير.
 - الظن والتجسس.
 - الرفق واللين.

- موقف أهل السُّنَّة من العالم إذا أخطأ؛ أنه يُعذَر؛ فلا يُبدَّع، ولا يُهجَر.
- فِتْنَةُ التَّجْرِيع والهَجْر من بعض أهل السُّنَّة - في هذا العصر - ، وطريق
السَّلامَةِ منها.

- بدعة امتحان النَّاس بالأشخاص.
- التَّحذِير من فِتْنَةِ التَّجْرِيع والتَّبْدِيع من بعض أهل السُّنَّة - في هذا
العصر - .

ومما يُؤسَفُ له؛ أَنَّهُ حصل -أخيراً- زيادةُ الطَّيْنِ بَلَّتْ؛ بتوجيهِ السَّهامِ
لبعض أهل السُّنَّة تجريحاً، وتبديعاً، وما تبع ذلك من تهاجر؛ فتكرَّرَ الأسئلةُ
..

◆ نعم، الشَّيْخ -حفظه اللهُ- صبرَ سنواتٍ لعلَّ هؤلاء الغلاة يرجعون، لعلَّ هؤلاء المُبدِّعون
يرعوون، لعلَّهم إلى ربِّهم يرجعون؛ لكن: ما ازدادوا إلى غُلُوٍّ! حتَّى طَعَنَ بعضهم بالشَّيْخ وبرِسالته!
ومن أعجب ما سمعتُ: قولُ مَنْ قال: (الذي يُوزَّع رسالة «رِفْقاً -أهل السُّنَّة- بأهل السُّنَّة»
مُبتدع!) ولما سُئِلَ عن المؤلِّف؛ قال: (أنا لا أُبدِّع!!) الذي يُوزَّع الرسالة مُبتدع؛ أمَّا الذي أَلَفَها غير
مُبتدع! أليس هذا عينُ التَّنَاقُضِ؟!!

ألم يقل الشَّاعر -قديماً-:

واجْتِناعُ ضِدِّينَ معاً في حالٍ .. مِنْ أَقْبَحِ ما يَأْتِي مِنَ الْمَقَالِ

ما لكم كيف تَحْكُمُونَ؟!!

النَّاسُ لهم عُقُولٌ، لهم تَفْكيرٌ، لهم إدراكٌ، إذا كان مَنْ معهم بعيداً عن العقل، بعيداً عن
التَّفْكير، بعيداً عن الإدراك؛ فإنَّ كثيراً -مَنْ ليس معهم، غير موافقٍ غُلُوَّهم- عنده مِنَ الإدراكِ
والمعرفة -ما اللهُ به عليم-؛ ممَّا يُمَيِّزُ، ومما يَعْرِفُ مِنْ خِلالِهِ حَقَّهُمْ، أو باطلَهُمْ.

□ فتكرَّرَ الأسئلةُ: (ما رأيكَ في فلان بدَّعه فلان؟)!(وهل أقرأ الكتابَ
الفلانيَّ لفلان الذي بدَّعه فلان؟) ويقول بعضُ صِغارِ الطَّلَبَةِ لأمثالهم: (ما

**موقفك من فلان الذي بدّعه فلان؟) ولا بُدَّ أن يكون لك موقفٌ منه؛ والا
تركناك)!!**

◆ هذا ممّا يُسمّى -في لغة العلم-: (التَّسْلُسل والدَّور)؛ (فلان مُبتدع: مَنْ لم يُبدع هذا المُبتدع؛
مُبتدع)؛ طيّب؛ في الدَّرَجَة الثَّالثَة: (مَنْ لم يُبدع هذا الذي لم يُبدع ذاك ..)؛ ما حُكِّمُه؟! إلى متى؟!
هذا أخشى أن يكون حبلاً من مَسَد!!

نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوّة إلا بالله من هذه الطَّريقة المقيّنة البعيدة!
وقد أنكر شيخنا الشَّيخ الألباني -رحمه الله- هذه القواعد الفارغة الهاوية؛ لما قال: مَنْ الذي
قَعَدَ قاعدة (مَنْ لم يُكفِّر الكافر؛ فهو كافر)، أو (مَنْ لم يُبدع المُبتدع؛ فهو مُبتدع)؟!
أمرٌ دقيق، لا يسع أحداً أن يخوض فيها من غير احتياطٍ، ومن غير نظرٍ، ومن غير تدبُّرٍ، ومن
غير فهمٍ.

□ وَيَزِدُّ الأَمْرُ سُوءاً؛ أن يَحصل شيءٌ من ذلك في بعض البلاد الأوروبيّة -
ونحوها- التي فيها الطُّلاب من أهل السُنَّة بضاعتهم مُزجاةً ..
◆ قليلة، هم لا يزالون حديثي عهدٍ بإسلام؛ فهم في دينهم وعقيدتهم على ضعفٍ؛ فكيف
بِعِلْمِهِمْ وفِقْهِهِمْ؟!

□ وهُم بحاجةٌ شديدةٍ إلى تحصيل العلم النَّافع والسَّلامة من فِتْنَةِ
التَّهْجَر -بسبب التَّقْلِيد في التَّجْريح-.
◆ والله جالستُ الكثيرين؛ لا أرى معهم -ولا منهم- إلا التَّقْلِيد!
ومن عجبٍ: أن أحدهم -أو أن كثيراً منهم- والله -يُسمِّي هذا التَّقْلِيد: هذا من باب العمل
بِخَيْرِ الثَّقَةِ!! وهو لا يُمَيِّز بين التَّقْلِيد وَخَيْرِ الثَّقَةِ، والاجْتِهَاد والاتباع، وبين خَيْرِ الثَّقَةِ وَحُكْمِ الثَّقَةِ..
كُلُّ ذلك له ضوابطُهُ.

ثم: إذا كنت مُقلِّدًا، ورضيتَ لنفسِكَ بالتقليد، ورضينا لكِ بِما رضيتَ به لنفسِكَ؛ لماذا تُصبح مجتهدًا: تتنصر وتُنَاصِر لهذا الذي قَلَّدته، أو لهذا القولِ الذي خَضعتَ له -دُون بَيِّنَةٍ، وَمِنْ غير حُجَّةٍ؟!

هذه مشكلة! مُقلِّدٌ ومُجتهدٌ في آنٍ؟!! أيضًا: ضِدَّان لا يَجتمعان!
ووالله؛ حَدَّثني بعضُ الإخوة -مِنْ بلادٍ عَدَّة- في أوقاتٍ مُتعدِّدة، وفي ظروفٍ متنوِّعة-: أنَّ بعضَ الذين أسَلَمُوا في ديارِ الغربِ، أسَلَمُوا في هذا اليومِ، بعدَ أَيَّامٍ قليلة؛ امتُحِنُوا:

- ما رأيكَ في فلانٍ؟

- مَن فلان؟

- فلانُ الذي بدَّعه فلانٌ.

- والله؛ لا أعرفه.

- أنت مُبتدِع.!!

الله أكبر!!

حتَّى إن بعضَهم ارتدَّ عن دينه، ورجع إلى مِلَّة الكُفْرِ!! بسببِ غِلَظِ هؤلاءِ وفَسادِهِم وإفسادِهِم، في الوقتِ الذي يَتَّهِمُونَ به غيرَهم -بغيرِ حُجَّةٍ، وبلا محجَّةٍ، بغيرِ هُدًى، وبالهوى-.
نسألُ اللهَ العافية.

□ وهذا المَنهجُ شبيهٌ بطريقَةِ الإخوانِ المسلمين الذين قال عنها مؤسِّسُ حزبِهِم: (فَدَعَوْتُكُمْ أَحَقُّ أَنْ يَأْتِيَهَا النَّاسُ، وَلَا تَأْتِي أَحَدًا... إِذْ هِيَ جُمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَغَيْرُهَا لَا يَسْلَمُ مِنَ النِّقْصِ)!!

◆ يعني: دعوة مُبَطَّنة بالعِصمة والكمال! حزبيَّة صريحة!!

هؤلاء الذين شَبَّهَهُم الشَّيْخُ بالحزبيَّة الصريحة: يعيشون حزبيَّةً مُغلَّفة!

وصدق -قديماً- مَن سَمَّاهم: حزبًا -لا حزبيَّة-.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذ نقول هذا: فنحن نبرأ إلى الله من التَّحَرُّبِ، سواء ما كان ظاهرًا، أو مُغَلَّفًا، أو مُغَفَّلًا؛ كُلُّ ذلك لا وَجَهَ له، ولا وزن له عند الله -تبارك وتعالى-.

□ كما في كتاب [مذكرات الدَّعوة والدَّاعية]، (ص ٢٣٢)، ط. دار

الشَّهاب للشَّيخ حَسَنُ البَنَّا! وقال ..

♦ أي: الشَّيخ حَسَنُ البَنَّا -نفسه-.

□ (وموقفنا من الدَّعوات المختلفة -التي طغَتْ في هذا العَصْرَ فَفَرَّقَتْ

القلوب، وبلبلت الأفكار-: أن نَرْنَاهَا بِمِيزَانِ دَعْوَتِنَا؛ فما وافقها فمرحبًا به، وما خالفها فنحن براء منه)!!!

♦ أي ميزانٍ هذا؟! هذا ميزانٌ خاسِر!

الميزان القويم، والصَّراط المستقيم: هُوَ كتابُ اللهِ العَظِيمِ وسُنَّةُ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ، فهما موضعُ الكَمالِ والعِصمة.

أمَّا أن يُقاسَ هذا الأمرُ بِاجْتِهَادِ فلانٍ -من أهلِ العِلْمِ-، أو اجْتِهَادِ علانٍ -من أهلِ العِلْمِ-، ثم تُقاسَ الأُمَّةُ بِهِما، وتُلْحَقَ الأُمَّةُ بأقوالهما؛ فهذا ظُلْمٌ -وأي ظُلْمٍ!-.

ما كان من المسائل القطعية؛ لك أن تُبدِّعَ، أو تُضِلَّ. ما كان من المسائل الاجتهادية؛ ليس لك أكثر من أن تُخطئَ؛ والخلط بينهما قبيحٌ جدًّا.

قال كما في: «مجموعتِ رسائل حَسَنُ البَنَّا»، (ص ٢٤٠)، ط. دار الدَّعوة،

سنة ١٤١١هـ.

□ ومن الخير لهؤلاء الطُّلاب -بدلًا من الاشتغال بهذه الفِتنَةِ-: أن يَشْتَغِلُوا

بقراءة الكُتُبِ المفيدة لأهل السُّنَّة -لا سيَّما كُتُبُ العُلَماء المعاصرين؛

كفتاوى شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز، وفتاوى اللجنة الدائمة، ومؤلفات الشيخ ابن عثيمين.. وغير ذلك-؛ فإنهم -بذلك- يحصلون علماً نافعاً، ويسلمون من القيل والقال وأكل لحوم بعض إخوانهم من أهل السنة. ♦ ويقال في هؤلاء -أيها الإخوة-: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

من عنده مؤلفات الشيخ ابن باز.. من عنده مؤلفات الشيخ ابن عثيمين.. من عنده مؤلفات الشيخ الألباني -رحمهم الله- جميعاً؛ كيف يرضى أن يهوي، وأن ينزل إلى مؤلفات من دونهم ممن يخالفهم، وإن كان يظهر احترامهم، وإن كان يظهر التبجيل لهم؛ لكن من هجهم في الشرق ومنهجهم في الغرب -في التضييل، والإسقاط، والتبديع- من غير رحمة، ولا رأفة -وللأسف الشديد-. ومع ذلك: أقول -كما قال سيدنا عمر- رضي الله عن عمر -: (لا تجزئ من عصى الله فيك بأحسن من أن تطيع الله فيه).

بالرغم من كل ما فعلوا، ومن كل ما أساءوا فيه، ومن كل ما ضللوا فيه من ليس أهلاً لمعشار وعشر ذلك؛ لا نبذهم، ولا نضلّهم، ولا نعاملهم بالمثل، ولا بالشبه للمثل؛ ولكن: قد نغلظ عليهم بالقول؛ لعلهم يستيقظون، لعلهم يتنبهون، لعلهم يفيقون من هذه الغفلة وهذه الرقدة التي طالت، وأن لهم أن يستيقظوا. نعم.

□ قال ابن القيم -في «الجواب الكافي» (ص ٢٠٣)-: (ومن العجب: أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقته وشرب الخمر، ومن النظر المحرم.. وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه؛ حتى يرى الرجل -يُشار إليه بالدين والرُّهد والعبادة- وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً؛ ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب!)

♦ وفي هذا المعنى حديث في «صحيح مسلم» -يكاد يكون باللفظ-، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن

رسول الله صلّى الله عليه وآله.

□ قال: وكَم ترى من رجل مُتَوَرِّعٍ عن الفواحش والظُّلم؛ ولسانه يَفْري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يُبالي ما يقول! ..

◆ وهذا سبب التَّغْيِير والتَّقْلِيد؛ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ في هذا العالم السُّنَّةَ، والحرص على أَهلِ السُّنَّةِ، وَيَرَوْنَ فيه العبادةَ والتَّخَشُّعَ؛ لكنَّهُمْ لا يَتَنَبَّهُونَ إلى لِسَانِهِ الذي لم يَتَنَبَّهُ لَهُ هُوَ، وإلى أَحْكَامِهِ التي زَلَّ فيها جَمَارُ الشَّيْخِ في الطِّينِ - كما قيل - قديماً - للأسف الشديد! -؛ يَتَنَبَّهُونَ إلى شيءٍ ويغفلون أشياءً - هي أعظمُ -؛ فلا يَجِدُونَ إلا التَّقْلِيدَ مَرَكَبًا يَرْكَبُونَهُ، وَيَسِيرُونَ فيه، وَيَنْطَلِقُونَ منه، ويتعاضدون عليه..

والتَّقْلِيدُ ليس عِلْمًا - أبداً - تحت أيِّ اسمٍ سُمِّيَ، وتحت أيِّ لَقَبٍ لُقِّبَ، وفي أيِّ معنى زُحِرِفَ وزُوقَ؛ التَّقْلِيدُ شيءٌ والعِلْمُ شيءٌ آخر.

□ وإذا وُجِدَ لأحدٍ من أهلِ السُّنَّةِ كلامٌ مُجَمَّلٌ وكلامٌ مُفَصَّلٌ؛ فالذي يَنْبَغِي: إِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِ، وَحَمْلُ مُجْمَلِهِ على مُفَصَّلِهِ؛ لِقَوْلِ عُمَرَ رضي الله عنه: «ولا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ إِلَّا خَيْرًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا في الْخَيْرِ مَحْمَلًا» - ذكره ابنُ كثيرٍ في تَفْسيرِ سورةِ الْحُجراتِ ..

◆ المَجْمَلُ والمُفَصَّلُ: ادَّعى بعضُ النَّاسِ - قبلَ سنواتٍ - أَنَّ هذه القاعدةَ لا تُطَبَّقُ إلا في كلامِ الله ورسوله، وهذا شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ ورَعَاهُ - يَنْقُضُ هذا الزَّعمَ، ويُبْطِلُ هذا الكلامَ، ليس - فقط - مِنْ تَلَقُّاءِ نَفْسِهِ؛ وإِنَّا بِكلامِ أَهلِ العِلْمِ.

اسْمَعُوا ماذا يَنْقُلُ عن شَيْخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ:

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -في «الرّد على البكري»، (ص ٣٢٤)- :
(ومعلوم أن مفسّر كلام المتكلّم يقضي على مجمله، وصريحه يُقدّم على
كنايته).

◆ لكنّ كلامنا -ولا تنسوا- كما قيّد الشيخ -: «وإذا وُجد لأحدٍ من أهل السُّنة» من
كانت أصوله سُنّية، وذكر كلمة فيها إجمال أو إبهام؛ يُحسّن الظنّ به، ويقضي مُفصّله على مجمله.

لكن: إذا كان مُبتدعاً؟

فالمُبتدع مجمله ضالٌّ، ومُفصّله ضالٌّ؛ فلا ننشغلُ به.

والخلطُ بينهما قبيحٌ، وقبيحٌ -جداً-، وإسقاطُ هذا الأصل أقيح وأقبح.

لكنّ العجيبَ الغريب: أنّي رأيتُ المنكرين لهذا الاستدلالِ نفسه -في مسألة المُجمل والمُفصّل -
يُسْتعملونه؛ لكن: فيما بين أنفسهم!! أمّا غيرُهم من أهل السُّنة الذين دافعوا، وكافحوا، ونافحوا -
في هذا الأصل -، وقالوا: (نحن لم نقصد كذا -مِمّا أخذتمونا به-؛ ولكن نقصد كذا...)؛ يقولون:
(أنتم تكذبون، أنتم تُراوغون، أنتم أهل حيل ودسّ ومكر وفُجور)!!

أمّا إذا كان -كما يُقال- إذا كانت الكُرة في مَلْعَبهم؛ فهم أهل الأمانة، وأهل الإنصاف!!
وحينئذٍ: يجوز استعمال قاعدة المُجمل والمُفصّل (بينهم)! بشرط: (بينهم) -لا غير-!!

أليس هذا كيلاً بِمِكيالَيْن، ووزناً بِمِيزَانَيْن -يا عبادَ الله-؟!

أليس من أعظم الظُّلم: أن لا نقوم بالحقّ والعدل والميزان -الذي أقام الله له وبه السَّمَاوات
والأرض-؟

ربُّنا -عزَّ وجلَّ- عندما نَعَى على بني إسرائيل حالهم وضلالهم وكُفْرَهم؛ قال -من ضمن ما
ذَكَر- سُبْحَانَهُ فِي عُلَاه- عنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؛ فالمنكر في غيرهم؛ بينما فيما
بينهم هو الهدى وعين الهدى!!

□ وقال -في «الصَّارم المسلول»، (٥١٢/٢)-: (وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات -من غير مُراجعةٍ لِمَا فسَّروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم-؛ يَجُرُّ إلى مذاهبٍ قبيحتٍ).

◆ وهو كلام واضح.

إذًا: إذا وجدتَ فقيهاً يُطلق قولاً؛ لا يجوز أن تأخذه على إطلاقه من غير أن تنظر لما تقتضيه أصوله.. من غير أن تنظر إلى ما فسَّر به كلامه.

الآن: هؤلاء الغلاة يهدمون التاريخ، ويهدمون الأصول ومقتضياتها، ويهدمون التفسير والتفصيل والتبيين؛ كلُّ ذلك: في تثبيت دعاويهم، وفي تثبيت مزاعمهم، وفي تثبيت اتهاماتهم ومفترياتهم!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

□ وقال -في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، (٤٤/٤)-: (فإنه يَجِبُ أن يُفسَّر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويُؤخذ كلامه ها هنا وها هنا، وتُعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به. ◆ هذا هو الأصل.

الإنسان قد يُقصر في عبارة، قد يغلط في كلمة، قد يسبق لسانه، فإذا رُوجع؛ فسَّر وفصَّل، بَيَّن واعتذر.

أما الظُّلم -أن نحكم على النَّاس من أهل السُّنَّة حُكمًا عشوائيًا ظالمًا- هكذا -بغير بَيِّنَةٍ، ولا هُدًى-؛ فهذا مُنافٍ للعلم، مُنافٍ للعدل، مُنافٍ للحلم، مُنافٍ للعقل، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله. وإذ قد ذَكَر شيخنا -حفظه الله- ثلاثة نُقولٍ عن شيخ الإسلام ابن تيمية: فَإِنِّي أَعْلَمُ من هؤلاء النَّاسِ -في بعضِ المجالسِ التي عَاشَتْها والتي نُقلت لي بالخبرِ الصَّادق- من أكثر من جهةٍ -أنَّ بعضَ المناقِشين كانوا يَسْتَدِلُّونَ على هذا الغالي - (الغالي): من الغلوِّ -ليس من الغلاء-؛ حتَّى لا تَخِلُّطُوا -أنه كان يَسْتَدِلُّ عليه بِكلامِ شيخ الإسلام - (قال ابنُ تيمية.. قال ابنُ تيمية)-؛ فقال: (ليس عندك

إلا ابن تيمية؟! ومن معك ليس عندهم إلا كلامك؟! لماذا ترضى بذلك ولا ترضى بهذا؟! وهذا خير منك -بألف مرة ومرة-.

تأصيلات شيخ الإسلام ابن تيمية: أين منها؟! أين مثلها؟! أين ما يقرب منها؟! والله! لو أن أهل السنة -من دعاة منهج السلف- امتثلوا تأصيلات شيخ الإسلام -في الولاء والبراء، في الحب والوفاء، في المودة والبغضاء، في غير هذا وذاك-؛ لسلمت حالتهم، وكملت طريقتهم، واجتمعت كلمتهم؛ لكنهم -وللأسف!- أعني: فريقاً منهم -خالف ذلك مخالفةً مُستبدلاً من هو أدنى منه به -خبط عشواء- بغير حجة، ولا بينة، ولا بصيرة-.

□ والنَّاقِدُونَ والمنقودون لا عصمة لهم، ولا يسلم أحدٌ منهم من نقص أو خطأ، والبحث عن الكمال مطلوب؛ لكن لا يزهد فيما دونه من الخير ويهدر؛ فلا يُقال: إمامٌ كمال ولا ضياع، أو: إما نُورتاً وإما ظلاماً!

◆ هذه قِسْمَةٌ ضِيزَى!! لا شكَّ، ولا ريبَ: أنك في دائرة البشر، في دائرة بني آدم، وهي الإطار الذي يقول فيه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «كُلُّ بني آدمَ خاطيءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَابُونَ». وكأنِّي أرى أنَّ النَّاقِدَ -اليومَ- يحسبُ نفسه مُبرِّئاً عن النَّقص، ويخال نفسه عَرِيّاً عن الخلل؛ حتى سمعتُ -بأذني- قولَ القائل: (أنا لستُ معصوماً؛ لكن لا أعرفُ أن لي خطأ)!! ما هذا الكلام؟!

فقلتُ: لعلَّه يُريد أن يقول: (لا أعترفُ أن لي خطأ)؛ فسقط (حرفُ التَّاء)؛ هذا حُسنُ الظَّنِّ به. ومن عجبٍ أنه قال -في مرةٍ أخرى، وفي موضعٍ آخر-: (أنا كلامي في التَّبديع في الرِّجال والجماعات؛ ليس اجتِهادياً)!!

إمّا اجتِهاد وإمّا قطع، إمّا احتِمال وإمّا نصٌّ، إمّا كمال وعِصمة وإمّا خطأ وزلل؛ أليست هذه دعوة إلى العِصمة المبطَّنة؛ بل إلى العِصمة الصَّريحة الصَّريخة؟!!

ثم: ما معنى كلمة (اجتهاد)، لأنه أراد أن يُفَصِّل ويفسِّر -وهو وقوع منه بمبدأ الإجمال والتفصيل-؛ فيقول: (أنا لا أقصد بـ«أنه ليس اجتهداً»؛ إلا أنني أجمع، وأبحث، وأتبع، وأسبر، وآتي بالأقوال والأدلة..)؛ ماذا يُسمَّى هذا؟ وفي أيِّ لغةٍ يُطلق عليه أنه ليس اجتهداً؟! الاجتهادُ: بذلُ الوسع في معرفة الشيء. هذا هو الذي تفعله! هذا إذا سلّمنا أنك -فعلاً- فعلتَ، فكيف؛ والشأنُ أنك لم تفعل؟!!

فكيف يُقال: هذه ليست اجتهدات؟!!

آنَ لِمَن لا يَعْقِل أن يَعْقِل ..

آنَ لِمَن لا يَفْكَر أن يَفْكَر ..

آنَ لِمَن يُقَلِّد أن يَنْزِع ثوبَ التَّقْلِيد ..

آنَ لِمَن يَنْظُر بعَيْنِي غَيْرِهِ أن يَنْظُر بعَيْنِي رَأْسَهُ ..

آنَ لِمَن لا يَنْظُرُ إلا بنظارات ملوّنة أن يلبسَ نظارات رقراقة، تكشف له حقائق الأمور،

وتكشفُ له صفاءها ونقاءها، دون ما يُصَيِّبُها من بلاء ولأواء ..

□ بل يُحافظ على النُّور الناقص، ويُسعى لزيادته، وإذا لم يحصل سراجان أو أكثر؛ فسراج واحد خيرٌ من الظلام).

◆ هذا كلام مَنْ يفقه ..

هذا كلامُ مَنْ يَعْقِل ..

هذا كلامُ مَنْ يدري ..

لأن الكمال -وإن كان مطلوباً- لكنه مستحيل؛ إلا في حقِّ المولى العظيم -جلَّ في علاه-؛ وإنما

نتطلَّب ما قد يُطلَق عليه: الكمال البشري، وأيضاً: صعبٌ وعسر.

فإذا لم يوجد؛ نُسقط هذا الذي ليس عنده ذاك الكمال البشريُّ المطلوب؟!!

وَأَنْتَ -يا مَنْ أَسْقَطْتَهُ!- هل وصلتَ إلى الكمالِ البشريِّ المطلوبِ -نفسِه-؛ حتى تسلبه من غيرك، وحتى تُسْقَطَ لَفَقْدِهِ سواك؟!!

□ وَرَحِمَ اللَّهُ شَيْخَنَا الشَّيْخَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ الَّذِي وَقَفَ حَيَاتُهُ لِلْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ -تَعْلَمًا، وَعَمَلًا، وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً-، وَكَانَ مَعْنِيًّا ..
◆ يعني: مُهْتَمًّا.

□ بِتَشْجِيعِ الْمَشَايِخِ وَطَلِبَةِ الْعِلْمِ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالِدَّعْوَةِ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَوْصِي أَحَدَ الْمَشَايِخِ بِذَلِكَ ..
◆ يعني: يقول له: لا بُدَّ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالِدَّعْوَةِ وَو..

□ فَاعْتَذَرَ بَعْدَ رَلَمٍ يَرْتَضِيهِ الشَّيْخُ ..
◆ اعتذر هذا الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ يُنَاصِحُهُ، اعْتَذَرَ؛ لَكِنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَقْنَعْ بِعُذْرِهِ.

□ فَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الْعَمَشُ وَلَا الْعَمَى) ..
◆ الْأَعْمَشُ: هُوَ الَّذِي نَظَرُهُ خَفِيفٌ، قَدْ يُقَالُ: (أَعَشَى)، وَقَدْ يُقَالُ: (أَعْمَشَ)؛ بَيْنَمَا الْأَعْمَى:
لَا يُبْصِرُ بِالْمَرَّةِ.

□ وَالْمَعْنَى: مَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ؛ لَا يَتْرَكَ بَعْضُهُ ...
.....

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المجلس الثاني

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعْدُ:

فهذا -أيها الإخوة- مجلس -كما ذكرت في المرة الماضية- استثنائي، أتمم فيه ما ابتدأته من شرح موجز لرسالة مباركة كتبها بعض كبار مشايخنا وعلمائنا -في هذا الزمان- قبل أسابيع قليلة؛ علاجاً لمشكلة دهمت دعوة أهل السنة، وشفاءً لأمراضٍ تسللت بينهم.

فكتب فضيلة أستاذنا الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر -حفظه الله ورعاه، وأعانه على طاعة مولاه-، كتب رسالة بعنوان: «ومرة أخرى: رفقا -أهل السنة- بأهل السنة».

وقوله: (ومرة أخرى) إشارة إلى ما كتبه قبل بضع سنوات من رسالة بعنوان: «رفقا -أهل السنة- بأهل السنة»، وفكرة الرّسالتين قائمة على لزوم تراحم أهل السنة فيما بينهم، فيما يقعون فيه، أو يقع منهم من أخطاء اجتهدية يظنون أنّها حق، وقد يخالفهم غيرهم؛ فيرى أنّها ليست كذلك. وخلاصة قوله: أنه لا مانع في ذلك كله من التخطئة والنقد والرد؛ لكن: في إطار التناصح، وفي إطار التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وليس في إطار التربص والتلصص والترصد؛ حتى يكون أهل السنة يكمل بعضهم بعضاً، ولا [...] بعضهم بعضاً.

لم يتكلّم شيخُنا - حفظه الله - الشَّيخ العبَّاد - في هذه الرِّسالة العزِيزة، بِكلماتِه الوجِيزة - على أغلاط السُّلوك، أو على أخطاء الشَّهوات، أو على ما قد يصدُر من إنسانٍ عن إصرارٍ؛ هذا ليس بابِه، وهذا ليس مُرادَه.

فقد فهمتُ أنَّ بعضَ الإخوة توهم غير مُراد الشَّيخ، وفهم عكس منطوق الشَّرح؛ فأحببتُ أن أوكِّد على هذه الجزئية التي هي كالنُّور السَّاري في احتمال المعاذير المقبولة في المسائل الاجتهادية السَّائغة، ليس في غيرها مما قد يكون فيه الفتن، أو الكذب، أو الشَّهوات، أو غير هذا وذاك من نقائص وبلايا وطامات.

وصلنا في المجلس السَّابق إلى تأصيل الشَّيخ - حفظه الله - موضوع النِّقص الذي يعتري أهل السُّنة أو بعضهم، وأنَّ الأصل استكمال هذا النِّقص؛ لا أن يُطلب الكمال؛ وبالتالي فالنِّقص ينقضُه: إما كمال أو تضليل! إما كمال أو إسقاط!!

فالشيخ - رحمه الله في الدُّنيا، وجملة بتقواه فيها، وأسعده بالنَّظر إلى وجه الله في الآخرة - يقول - مُشيرًا إلى ما ينبغي سُلوكه -.. قال:

□ فلا يقال: إمَّا كمال وإلا ضياع، أو: إمَّا نُور تامُّ وإما ظلام!

◆ من بعد محمَّد ﷺ له الكمال العامُّ، أو النُّور التَّامُّ؟ لا أحد من جميع الأنام! هذا لمحَمَّد ﷺ. أمَّا من كلِّ أحدٍ - بعده - صلواتُ الله وسلامُه عليه - فالنِّقص - لا بُدَّ - يعتريه، وهذا مَسْلُكٌ يقعُ فيه تناقضٌ من الغلاة؛ فهم يُبدِّعون ويضللُّون خصومهم في الوقت الذي يسلكون ويمشون مؤيديهم وأتباعهم ومقلِّديهم إذا أخطؤوا الخطأ نفسَه! لذلك: هم يسكُتون، فإذا حصل مع هذا المسكوت عنه شيءٌ من الخلل؛ بحثوا في الدِّفاتير القديمة التي هم كانوا ساكتين عنها!

□ بل يُحافظ على الثُّور النَّاقص، وَيُسعى لزيادته ..

◆ يُحافظ على السُّنِّي الذي عنده نقص، وَيُسعى إلى مُناصحته؛ لا إلى إطفاء نوره، وتضليله، وإسقاطه، وهجره، وكبته.. ويا ليت أن ذلك كائنٌ ضمنَ الضُّوابط والأُطر والأسس والأصول السُّنِّيَّة المُعتبرة؛ هانَ -إذن- الخطب؛ لكنَّ الأمر -وللأسف- لم يكن كذلك -البتّة-!

□ وإذا لم يحصل سراجان أو أكثر؛ فسراج واحد خيرٌ من الظلام ..

◆ لأننا -كما قلنا-: لا يُمكن أن يرتضيَ عاقلٌ بقاعدة: (نور تأمُّ وإلا ظلام)! أو بقاعدة: (إما

كمال، وإما ضياع)!

طالما أنتَ إلا بشر؛ فلا بُدَّ من الخطأ، ولا بُدَّ من الزَّلَل، ولا بُدَّ من الخلل، ولا بُدَّ من الخطل ..
ثم: المؤمن للمؤمن -كما قال شيخُ الإسلام- كاليدَين تغسل إحداهما الأخرى؛ تَسْتَر عورته فيما قد يبدو لك من خللٍ تُريد أن تُعظِّمه في مسألة اجتِهَادٍ علميٍّ مُعتبر له وجوهه، وله دلائله، وله بيناته -وإن خالفته أو خالفك، وإن وافقته وما رافقته-.. وهذا في سائر مسائل العلم؛ إلا في أصول العقيدة.

وأعني بـ(أصول العقيدة) التحرُّز من فروعها؛ فقد حصل اختلافٌ وخلاف بين أهل السُّنَّة -أو كثيرٍ منهم- حتى في مسائل فروع العقيدة؛ فضلاً عن الفقه، فضلاً عن التفسير، فضلاً عن الحديث -سواءً في فهمه، أو في الجرح والتعديل، أو في مصطلح الحديث، أو التَّبديع-.. هذا كله موجود، ومن يتوهم الإجماعات في ذلك؛ فهو غارقٌ في الغلط؛ ينبغي أن يُراجع نظره وفكره وتصوره.

□ وَرَحِمَ اللهَ شيخنا الشَّيْخَ عبدَ العزيز بن باز الذي وقف حياته للعلم

الشَّرعي -تعلُّماً، وعملاً، وتعليماً، ودعوة-، وكان معنياً بتشجيع المشايخ وطلبَةِ العلم على التَّعليم والدَّعوة ..

♦ بل أنا أعلم - عن كُتب - أن بعضَ مَنْ وظَّفهم الشيخُ ابنُ بازٍ في الرِّئاسةِ العامَّةِ لإداراتِ البُحوثِ والإفتاء - وهي مُنظَّمة أو مؤسَّسةٌ حُكوميَّة -.. بعضُ مَنْ هؤلاء كان يُوظَّفهم من جيبه؛ تشجيعاً للعلم، وتشجيعاً للتَّعليم، وتشجيعاً للدَّعوة - إذا لم يكن - هنالك - مخصَّصات لبعض الرُّواتب -، يُنفق عليهم من جيبه، ومن خاصَّة ماله - رحمه الله -.

□ وكان معنياً بتشجيع المشايخ وطلبته العلم على التَّعليم والدَّعوة، وقد سمعته يوصي أحد المشايخ بذلك ..
♦ يقول له: لا بُدَّ أن تُعلِّم النَّاس، وأن تدعو، وأن تُدرِّسهم.

□ فاعتذر ..
♦ أي: هذا الشَّيخ.

□ بعد ذلك يريته الشَّيخ ..
♦ أي: ابن باز.

□ فقال - رحمه الله - ..
♦ الشيخ ابنُ بازٍ قال للرجل؛ للشيخ الذي يذكِّره ويأمره ويحضُّه على الدَّعوة، قال:

□ «العمشُ ولا العمى» ..
♦ يعني: قد يتعلَّل بعضُ النَّاس، يقول: والله؛ أنا لستُ كُفأً لأنَّ أتصدَّر في التَّعليم!
هذا كلام جيِّد - لو وُضع في إطاره -.

لكن - مثلاً -: الآن في بعضِ البلاد التي فيها نقصٌ علميٌّ - سواءً في العلماء، أو في طلبه العلم -؛ هل هنالك معيارٌ معيَّن تَبْلُغُه لتعليم العلم وللدَّعوة؟ حيثنَّذ نقول: العمشُ خيرٌ من العمى،

العمشُ ولا العمى؛ لأنك في محيطٍ ليس فيه علماء، فما رزقك الله به من علمٍ ولو كان محدودًا شيئًا ما، لكن أصولك صحيحة في العقيدة الصحيحة، وفي السنة الصحيحة -بعيدًا عن الشُرَكِيَّات، وبعيدًا عن البدع-؛ فحينئذٍ نقول: لا بُدَّ أن تُقدِّم، لا بُدَّ أن تُقبل.

□ والمعنى ..

◆ يعني: من قوله: «العمشُ ولا العمى»..

□ والمعنى: ما لا يدرك كله؛ لا يُترك بعضه ..

◆ يعني: إمَّا مائة في المائة أو صفر؟! لا يوجد درجات؟! وهذا هو المقصود.

□ وإذا لم يوجد البصر القويُّ ووجد بصرٌ ضعيف -وهو العمش-؛ فإن

العمش خيرٌ من العمى.

◆ إذا لم يوجد علمٌ موسوعيٌّ؛ فلا أقلَّ من أن ينفع الله -سبحانه في علاه- وهو ذو العطاء والمُلْكِ والمنن - أن يَمَنَّ على بعضِ عبيده بالبركة -ولو في العلم القليل-، إذا رافقه الإخلاص لله، والمتابعة لسنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

□ وقد فقد شيخنا -رحمه الله- بصره في العشرين من عمره ..

◆ وهذا من باب استكمال الفائدة.

هذا فيه ردُّ على ما يتوارده ويتناقله بعضُ النَّاس: أن الشيخ ابن باز كان يتمنى أن يردَّ الله إليه بصره؛ ليطبَّق قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، قال: ربُّنا قال كذا، وأنا أتمنى أن يردَّ الله لي بصري؛ حتى أطبَّق الآية!

والشيخ ابن باز عاش في نجدٍ إلى سنِّ العشرين -وهو سنُّ الرُّجولة- مُبْصِرًا؛ فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّه رأى الإبل، وتفكَّر فيها، وتدبَّرها.

فهذا مما يُنسب إلى أهل العلم غلطاً عليهم، ولو كانت نية الناس لهذا -أحياناً- حسنة؛ لكن النية الحسنة لا تجعل الخطأ صواباً.

□ ولكن الله عوّضه عنه نوراً في البصيرة اشتهر به -عند الخاصّ والعامّ-.

◆ ونشهد على ذلك -و الله خير الشّاهدين-.

ونضمُّ إلى هذه الشّهادة شهادةً أخرى لشيخنا الذي نحن في حضرة كلامه؛ وهو الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله ورعاه، ووقاه شرّ أهل الفساد والعناد-؛ فإنه أوتي بصيرةً -أيضاً- ثاقبة، وأوتي حِلماً كبيراً؛ حتى لقّبه بعضُ الناس لقباً أعجبني، وفرحتُ به وله؛ وهو أنّه: (مطبّب جراح أهل السُّنة)..

جزاه الله خيراً، ونصر الله به الحقّ وأهله.

فحيثما رأى عُدواناً، أو خُللاً، أو غُلّوا؛ فإنّه ينقُضُ عليه بالرّفق، ويرُدُّه بالحلم، ويرفضه بالعلم والمعرفة والتّناصح في ذات الله؛ وهذا هو الذي نحتاجه في القضايا العلميّة الاجتهاديّة السّائغة الخِلافيّة التي قد تقع في إطار السُّنة وبين أهل السُّنة.

□ وقال شيخ الإسلام -في «مجموع الفتاوى»، (٣٦٤/١٠)-: فإذا لم يحصل

الثُّور الصّافي بأن لم يُوجد إلا الثُّور الذي ليس بصافٍ والا بقي الناس في الظُّلمة؛ فلا ينبغي أن يعيب الرجلُ وينهى عن نور فيه ظُلمة، إلا إذا حصل نور لا ظُلمة فيه؛ والا؛ فكَم ممن عدل عن ذلك يخرج عن الثُّور -بالكليّة- ..

◆ ولعلي قد ذكرتُ لإخواني -في غير هذا المجلس-: أن بعض أهل الغُلّ الذين أخذهم هذا

النّفس غير النّفيس، وهذا الأسلوب السيِّئ التّعيس في التّضليل والإسقاط والتّبديع -بغير ضوابط ولا شروط- أنّهم كانوا يمتحنون بعض المهتدين الجدد في بلادٍ ضعيفٍ فيها الإسلام، أو في بلاد -

أصلاً - ليست إسلامية!! فتراهم أوّل ما يمتحنون: ماذا تقول في فلان؟.. يقول: لا أعرف فلاناً، أصلاً أنا لا أعرفه.. فيقولون: إذا لم تُبدّعه؛ بدّعناك، وإذا لم تُسقطه أسقطناك!!
وللأسف!!

وحدّثني من أثقُ به:
أن بعضاً من هؤلاء ارتدّوا، وخرجوا عن الملة، وتركوا دين الإسلام بالكلية!!
نسأل الله العافية.

□ ويُشبه هذا مقولتُ بعض الناس ..
◆ يعني: إمّا كمال وإمّا ضياع! إمّا نورٌ تامّ، وإمّا ظلام.

□ ويُشبه هذا مقولتُ بعض الناس: الحقُّ كلٌّ لا يتجزأ؛ فخذوه كلّهُ، أو دعوه كلّهُ؛ فإن أخذهُ كلّهُ ..
◆ الشيخ يُعلّق.. هذه الجملة: «الحقُّ كلٌّ لا يتجزأ؛ فخذوه كلّهُ، أو دعوه كلّهُ»؛ هذه المقولةُ
يتقدّمها الشيخ؛ يقول:

□ فإن أخذهُ كلّهُ حقٌّ، وتركهُ كلّهُ باطلٌ ..
◆ لماذا باطل؟ لأنه من الممكن أن يكونَ معه شيءٌ من الحق؛ فحينئذٍ: إذا تركناه كلّهُ؛ نترك الباطل ونترك ما فيه من بقايا الحق؛ وهذا خلاف الشريعة، وخلاف الأدلّة، وخلاف ما يشهد له العقل والنقل.

لكن: قد يُجدي ذلك وينفع في أناسٍ يُحكّمون العقل والنقل.
لكن: في أناسٍ يَغيبون؛ بل يُغيبون، ويُغيبون هذا العقل والنقل -إلا من رحم الله-؛ فقلّ أن يُجدي ذلك نفعاً فيهم، أو أثراً بهم.

□ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ يُوَصِّى بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ، وَالسَّعْيِ لِتَحْصِيلِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْحَقِّ.

◆ هذه هي المعادلة الشرعية المنضبطة، وهذه هي القاعدة الدينية الراسخة، أما: أسود أو أبيض -فقط-، وإلغاء ما بين اللّونين، وما بين الدّائرتين من درجات كبريات؛ فهذا عينُ الظُّلم، وعينُ الباطل.

وأؤكِّد -ها هنا-: أن شيخنا الشيخ العباد -حفظه الله ورعاه- إنّما يتكلّم -في هذه التّأصيلات- كلّها- في إطار أهل السُّنة، لا يتكلّم عن أحوال مبتدعة، ولا يتكلّم عن أشخاصٍ مبتدعين؛ حتى لا يأتي مشوّش، أو مُلبّس، أو مُفترٍ، أو مُحادِّث؛ ليدلّس على النّاس بكلماتٍ ظاهرها فيه الرّحمة، وباطنُها من قبلة العذاب.

□ والهجرُ المحمودُ: هو ما يترتّب عليه مصلحتٌ، وليس الذي يترتّب عليه مفسدة.

◆ وهذا -أيضاً- مما غاب وعُيِّب عن كثير من النّاس من أهل السُّنة الذين غلّوا وانحرفوا عن جادة هذا الحقّ السّاطع، وهذا النهج الرّائع في أصول التّعامل والمعاملة في إطار الاجتهاديّات الخلافية السّائغة بين أهل السُّنة فيما بينهم.

فبعض النّاس قد يهجر على أقلّ قليل -دون مراعاة لأيّ ظرف، ودون تنبّه لأيّ أثرٍ، ومن غير موازنةٍ شرعيةٍ صحيحةٍ بين مصلح ومفاسد-.. المهم: أن فلاناً يهجر!

أمّا: ماذا يترتّب على هجره -من قطيعة، أو من خللٍ، أو من فتنةٍ، أو من بلاء...-؛ فهذا قد يكونُ آخرَ ما يُفكّر فيه، أو ينظرُ إليه، أو -حتى- يرد على ذهنه.

لا حول ولا قوّة إلا بالله.

□ قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٧٣/٢٨): «ولو كان كلاً

اختلف مسلمان في شيء تهاجراً؛ لم يبقَ بين المسلمين عصمة ولا أخوة» ..

◆ طبعاً: الكلام - أو كد - مضبوطٌ بأصلين:

الأصل الأول: أن هذا في إطار السنة وأهل السنة.

والأصل الثاني: أنه في الخلافات الاجتهادية السائغة التي لا تُناقض أصلاً، ولا تُبطل أساً.

أمّا إذا كان هذا بين سُنيٍّ ومُبتدعٍ؛ فالحال يختلف.

إذا كان هذا في قضية من الأصول المسلمة في قواعدِها بين أهل السنة؛ فهذا - كذلك - يختلف.

نعم.

□ وقال - أيضاً - (٢٠٦/٢٨): «وهذا الهجرُ يختلف باختلاف الهاجرين - في

قوتهم وضعفهم، وقتلتهم وكثرتهم» ..

◆ وأنا أقول - زيادةً -: في زمانهم، وفي تعدد بلدانهم، وفي ظروفهم .. كل هذه معايير.

هل الذي نستطيع أن نفعله هنا نستطيع أن نفعله في بغداد هذه الأيام؟

الجواب: لا.

هل الذي يستطيعه أهل مكة والمدينة يستطيع أن يفعله أهل تونس؟

الجواب: لا.

هل الذي يستطيع أن يفعله أهل نجد اليوم كان باستطاعتهم أن يفعلوه قبل مئتي سنة؟

الجواب: لا.

إذن: الزمان له اعتبار، والمكان له اعتبار، والأعيان لهم اعتبارهم، والضعف والقوة له اعتبار،

والقلة والكثرة لها اعتبارها، وآثار كل من ذلك؛ أيضاً: لها اعتبارها، ولها آثارها، ولها نتائجها.

أما مَنْ عَمِيَ عن ذلك -كلّه-، يَغْضُ بصره متعمِّدًا ليس متأوِّلاً -فضلاً عن أن يكون مجتهدًا- ضاربًا لتأصيلات أهل العلم وأهل السُّنة عُرض الحائط؛ فهذا لا يُقال: إنه مجتهد؛ بل هذا مُتَعَدِّ، ومُتَجَاوِزٌ قُدْرَه؛ فليُتَّبَع إلى الله من هذه الفتن والبلايا التي نشرها ونشرها؛ يكاد يكون في العالم -كلّه- شرقًا وغربًا، في بلاد المسلمين، وفي بلاد غير المسلمين-.

□ **فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامّة عن مثل حاله ..**
◆ هذا هو مقصود المهجر؛ فهو مقصود شرعيّ شريف، ومطلب دينيّ عفيف، له نتائجُه المباركة، وله ثمارُته الناضجة؛ ليس كما هو جارٍ -اليوم- بغير علم، ولا هُدًى، ولا بصيرة-؛ مما شتّت كلمة أهل السُّنة في أطراف المعمورة؛ حتى كادت كلمة (أهل السُّنة والجماعة) لا تنطبق عليهم؛ بسبب ما وردهم بما ليس من منهجهم من التفرُّق، والتفرقة، والتشتيت باسم الحرص على السُّنة!! ووالله؛ إن هذا ليس بحرص؛ إلا كحرص الدُّب على صاحبه لما رأى ذُبابَةً على وجهه وهو نائم، فأراد أن ينام صاحبه دون أن تؤذيه هذه الذُّبابة، فأتى بصخرة ليضرب الذُّبابة على رأسه؛ فهشَّم منه الرأس، وحطَّم الأضراس!!

هكذا أحوال هؤلاء الذين يغلطون ويغلطون وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا!!
ومع ذلك: فنحن -إلى الآن- لا نُعاملهم بِمثل ما عاملوا به غيرهم؛ فلا نُبدّعهم، ولا نُضللُّهم، ولا نُخرِجهم من أهل السُّنة؛ ولكننا نُنبِّه على مَسَلِكِيَّاتهم الخطيرة، ونحذّر من سُلوكِيَّاتهم المريبة التي لم تُنتِج إلا البلاء تلَو البلاء.

□ **فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة -بحيث يُفْضي هجره إلى ضعف الشرِّ وخفيته ..**
◆ يعني: وزواله.

□ كان مشروعاً ..

◆ هذا ضابط متقن؛ لأن المهجر إنما يُعرف بآثاره، وليس هو أمراً مطلوباً لذاته.

□ وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك -بل يزيد الشر- ..

◆ كما هو الحال -وللأسف- من بعض من هَجَرُوا وُبَدَّعُوا، أو فيمن هَجَّر وُبَدَّع في بعض البلاد؛ حيث تفرقت الكلمة، وتشَّتت القلوب، وتنازعت النفوس، وضعفت الهيبة؛ حينئذٍ: فإذا لم تكن هذه سيئات وشرًّا؛ فلا يوجد سيئة ولا شرٌّ!!

□ وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك -بل يزيد الشر-، والهاجر

ضعيف -بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته-؛ لم يُشرع الهَجْرُ.

◆ طبعاً قوله: «والهاجر ضعيف» -هنا-؛ هذا بيان لصورة، وليس بياناً عاماً؛ بمعنى: لو كان الهاجر [قوياً]؛ لكن أثر هذا الهجر سيكون سلبياً.. النتيجة واحدة.

الهاجر قوي؛ لكن: في قلة، وأهل الأهواء والبدع أكثر.. أيضاً: يُنظر إلى المفسدة.
هذه هي الضوابط.

□ «إذا عُرِفَ هذا: فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها

ورسوله، فالطاعة لا بُدَّ أن تكون خالصة لله، وأن تكون موافقةً لأمره؛ فتكون خالصة لله صواباً ..

◆ وهذان هما شرطتا قبول أي عمل يتقرب به أي عبد لله -تبارك وتعالى-: الإخلاص لله، والموافقة لسنة رسول الله -صلواتُ الله وسلامه عليه-.

□ فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجراً غير مأمور به؛ كان خارجاً عن

هذا ..

◆ حتى هذه الحسبة، وهذه النظرية في تمييز آثار الهجر -إن كان شرًّا؛ فشرًّا، أو خيرًا؛ فخيرًّا، أو نتيجة طيبة؛ فيأمر به، أو نتيجة سيئة؛ فيُنهى عنه-؛ وكل ذلك: بحسب غلبة الظنّ -من جهة-، أو اليقين الواقع -من جهةٍ أخرى-.

حينئذٍ: هؤلاء الذين يهجرون لهوى أنفسهم، هؤلاء الذين يهجرون هجرًا غير مأمور به؛ هم -أصلاً- خارجون عن هذه النظرية بصورتها.

وانظروا بماذا ختم شيخ الإسلام كلامه، والذي انتقاه شيخنا -حفظه الله:-

□ وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه؛ ظانّةً أنّها تفعله طاعةً لله ..

◆ كم من الناس اليوم من يُبدعون إخوانهم، ويضلّلونهم، ويسقطونهم، ويهجونهم .. وهم يظنون أنّهم في ذلك ينصرون السنة!! ولكنّ الشهوة الخفية، والهوى المبطن هو الذي يُحرّكهم -وللأسف-، وهو الذي يأخذهم ذات الشمال وذات اليمين؛ وإلا: لو نظروا -فقط- في الآثار والتّأثير؛ لعرفوا سوء صنيعهم، وبلاء فعلهم، وخطر عملهم!!

وكم من مرّة ومرّة سمعنا شيخنا الجليل الشيخ الإمام حسنة بلاد الشام شيخنا المهام أبا عبد الرحمن محمّد ناصر الدّين الألباني -رحمه الله، وجمعنا وإياكم وإياه في جنّة الله بصُحبة النّبیین والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، وحسن أولئك رفيقًا-.. كم من مرّة ومرّة كان يقول: يروى في أخبار بني إسرائيل ..

والنّبي -عليه الصّلاة والسّلام- يقول: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»؛ طالما أنّها لا تُخالف، أو أنّها فيها حكمة، وما أشبه.

قال -فيما يُروى في أخبار بني إسرائيل وكُتِبَهم-: أن عيسى ابن مريم -عليه الصّلاة والسّلام- حذّر حوارِيَّه -ذات يوم- قائلاً إنه سيكون أنبياء كذّبة، قالوا: كيف نعرفهم؟ قال: «مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ».

فَمَنْ أخطأ في الفهم، وَمَنْ أخطأ في التّصوُّر، وَمَنْ أخطأ في التّفكير -وهو يحسب أنّه يُحسِّن صُنْعاً-؛ فليَتدبّر النتائج، وليَتأمّل الثّمرات، وليُدّرِس هذا الواقع المرّ الذي أنتجَه تهوُّره، وأثمرته زِراعته، وأفسدته صنائعه..

ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

كل ذلك في بُعدٍ سحيق عن النظريّة والتّطبيق، وعن النّهج والتّحقيق.
ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: (العلم: إمّا قولٌ مصدّق، أو نقلٌ محقّق، وما سوى ذلك؛ فباطلٌ مُزوَّق).

نعم؛ باطل مزوَّق تحت شعار نُصرة أهل السُّنة وردّ أهل البدع، حتى وصل هذا الباطل إلى رؤوس أهل السُّنة في كثير من البلدان، وإلى [...] في عديد من الدّول، من غير رافّة، ولا رحمة، ولا شفقة، مِنْ غير تناصُّح كافٍ وصادقٍ؛ إلا بالتربُّص والتّصيّد والتّلصُّص..
ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

□ وقد ذكر أهل العلم: أن العالم إذا أخطأ لا يُتَابَع على خطيئه، ولا يُتَبَرَأ منه، وأنّه يُغتَفَر خطؤه في كثير صوابه ..

◆ هذا عند أهل الغلو يقولون فيه -بلسان الحال والمقال-: (حديث خُرافةٍ يا أم عمرو!! إلا في إطار مَنْ يؤيِّدهم، وَمَنْ يوافقهم، وَمَنْ يلتقي معهم).

أما أن تكونَ هذه المعاملة الرّحيمة الرّفيقة الشّفيقة عامّةً بنورها، شاملةً بهديها؛ فهذا ليس عندهم!! -لا بالخيال ولا بالأحلام، لا في اليقظة ولا في المنام!!-.

□ ومن ذلك ..

◆ يعني: في كلام وتقريرات أهل العلم: أن العالم إذا أخطأ لا يُتَابَع في خطئه -أو على خطئه-، ولا يُتَبَرَأ منه؛ وإنما يُعْتَفَر الخطأ في كثيرِ صوابه.

هذه بعضُ تقريرات هؤلاء العلماء.

ونكتفي بهذا القدر، ونُتِمِّمُ تقريرات علمائنا وأئمتنا التي نقلها أستاذنا وشيخنا -حفظه الله ورعاه- الشيخ عبد المحسن -في المجلس القادم-.

سائلاً ربي -تبارك وتعالى- لنا ولكم وللمسلمين -أجمعين- العفو والمغفرة؛ إنه -سُبْحَانَهُ- سميعٌ مُجِيبٌ.

وأسأل الله -تعالى- لشيخنا -حفظه الله- أن يزيده من فضله، وأن يُبَصِّرَهُ أكثر وأكثر، وأن ينصره أعظم وأعظم وأوفر؛ إنه -سُبْحَانَهُ- سميعٌ مُجِيبٌ.
وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربَّ العالمين.

المجلس الثالث

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعْدُ:

فهذا -أيها الإخوة- لقاءنا الثالث الذي نشرح فيه رسالة شيخنا العلامة المحدث الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر -حفظه الله ورعاه-، وهو محدث المدينة النبوية -حاليًا- ولا نزكاه على الله -.

ولا يزال كلامه في ضبط وجوه التصرفات والسلوكيات التي ينبغي أن توجد للرحمة والحلم والعلم بين أهل السنة فيما بينهم.

وقبل أن أتمم البحث، وأكمل الشرح؛ فأذكر فائدة حديثية فقهية ورد ذكرها في درسٍ مضى من شروحنا لـ«الإبانة»، وأتصل بي بعض الإخوة -قريبًا- يستفصل عن المسألة نفسها، وهي: زيادة البسملة في حديث دعاء دخول المسجد؛ مُشيرًا إلى أن شيخنا الشيخ الألباني -رحمه الله- ضعف هذه الزيادة في «سلسلة الأحاديث الضعيفة».

وفعلاً: راجعت «السلسلة الضعيفة»؛ فوجدت شيخنا -رحمه الله- يُضعف هذه الزيادة.

لكن رأيتُ أمراً آخر - وهو الذي دفعني لهذه الإبانة، ولهذا التّوضيح -: وهو أنّ شيخنا - رحمه الله - صحّح هذه الزّيادة من حديثِ فاطمة - رضي الله عنها - في «صحيح سنن ابن ماجه»، فما ضعّفه في «سلسلة الأحاديث الضّعيفة»؛ صحّحه في موضعٍ آخر ومن طريقٍ آخر. فالعملُ بالبسملة والذكر لها عند الدخول؛ فإنّ هذا - والحالة هذه - ثابتٌ لا إشكال فيه، وتضعيفه حديثي محض، أمّا تصحيحه؛ فهو فقهيّ، وبطرق الأحاديث ورواياتها.

وصلنا إلى كلام شيخنا الشيخ عبد المحسن - حفظه الله ورعاه، وأكرمه إلى مزيد هُداه - وهو يقول:

□ وقد ذكر أهل العلم: أن العالم إذا أخطأ لا يتابع على خطئه، ولا يتبرأ منه، وأنه يُغتفر خطؤه في كثير صوابه ..
◆ هذا هو العدل مرّتين:

المرّة الأولى: العدل في العلم وأحكامه.
والمرّة الثانية: العدل في الحكم على أئمتّه وعلمائه والدّاخلين أبوابهم.
أمّا أن يؤخذ الإنسان بخطأ، ثم يُبدع ويُضلل، ويُتبرأ منه - بسبب هذا الخطأ-؛ فهذا كلام باطل.

ونُكرّر: أن كلامنا - كلّه - مُتعلّق في إطار المسائل الاجتهاديّة - التي تصدر عن اجتهاد - في المسائل السّائغة، لا نتكلّم عن شؤون الفسق والانحراف السّلوكي، أو الأخلاقي، أو ما يكون من ذلك من الكذب، أو الافتراء، أو غير هذا وذاك...؛ حتى لا تختلط الصورة أمام إخواننا - جزاهم الله خيراً -.

□ ومن ذلك ..

◆ يعني: من نصوص أهل العلم في تخطئة المخطئ دون هدره، ودون التبرؤ منه.

□ ومن ذلك: قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٤٩)

-بعد كلام سبق-: «ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يضارِقون به جماعة الإسلام، يُوالون عليه ويُعادون؛ كان من نوع الخطأ، واللّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَغْضَرُ لِلْمُؤْمِنِينَ خَطَأَهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ..

◆ يعني: لو أن أحداً من النَّاسِ وقع في بدعة؛ لكنّه جعل هذه البدعة التي وقعَ فيها في إطارها؛ لا يتجاوزها، ولا يجعلها مسألة ولاءٍ وبراء، لا يُحَارِبُ عليها، ولا يُجَادِلُ عنها؛ وإنّما هي مسألة اجْتِهَادٍ خرجتْ منه، أو صدرت عنه؛ فنحن نُحَطِّطُ؛ لكن: لا يكون منّا له الهجر، أو التبرؤ، وما أشبه ذلك.

□ ولهذا وقع في مثل هذا كثيرٌ من سلف الأُمّة وأئمّتها؛ لهم مقالات

قالوها باجْتِهَادٍ، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة؛ بخلاف مَنْ والى مُوافِقَهُ، وعادى مُخَالَفَهُ وُفِرّقَ جماعة المُسلمين...» .

◆ أنا أقول:

مَنْ كان على مثل هذه الحال: أنّه يُوالي مَنْ وافقَه، ويُعادي مَنْ خالفَه، ويكون أثر هذه الموالاة، وتلكم المُعاداة تفريق جماعة المُسلمين-؛ فهذا أولى بأن يُهجر، وأولى بأن يُتبرأ منه؛ بدلاً من أن يكون هو الهاجر، أو المُسقط، أو المتبرئ من أخطأ خطأ اجْتِهَادِيّاً في إطار ما يسوغُ الخلاف فيه اجْتِهَادِيّاً ممن هو أهلٌ للاجْتِهَاد -أصالةً-.

□ وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ..

♦ طبعاً: نحن عندما نذكر الإمام الذهبي يجب أن نتذكر أنه تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، فهذا المنهج الذهبي عند الإمام الذهبي إنما تلقاه وتلقنه من شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلفاته وسلوكياته وتصرفاته التي تخرج عن ضبط دقيق، وعن انضباط وثيق - والله يرحمهما -.

□ وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣٩/١٤): «ولو أنا كلما إمام في

اجتهاد في آحاد المسائل خطأ مغضوراً له ..

♦ يعني: اجتهاد

□ قمنا عليه وبدعناه وهجرناه؛ لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده،

ولا من هو أكبر منهما!!

♦ ذكر ابن نصر وابن منده؛ لأن هذين الإمامين - وإن كانا من أئمة أهل السنة، وإن كانا من أكبر علماء السنة والمؤلفين والمصنفين في باب العقيدة -؛ فإنها قد وقعا في بعض أخطاء الاعتقاد من مسائل العلم، لم يكن هذا الخطأ من أي منهما خطأ أصلياً يدل على انحراف أصلي.

هناك نوعان من الخطأ في العقيدة - أيها الإخوة -:

خطأ يدل على انحراف أصلي.

وخطأ يدل على خلل في الفهم قد يصدر من الإنسان المرة أو المراتين، وما أشبه؛ فهذا أمر يُحتمل، وهذا أمر قد يكون سائغاً - مع التخطئة للمخطئ، ومع التغليب للغالب؛ لكن: لا يُتهم بأنه من أهل البدع، لا يُتهم بأنه خارج عن السنة وأهل السنة، لا يُعامل بالهجر، أو غير ذلك.

□ والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من

الهوى والفظاظنة ..

♦ الهوى مُصيبة! فكيف إذا ضُيِّمَ إلى الهوى: الفظاظَةُ؟! وهذه الفظاظَةُ قد لا يجعل أحبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ يتقبَّل منك؛ فكيف إذا كانت هذه الفظاظَةُ مستعملةً مع إنسانٍ مُحالِفٍ لك، تريد هدايته، تريد إصلاحه، تريد دعوته؛ فمن باب أولى وأولى: أن تكونَ هيئًا لِيَنَّا في طرحك، أن تكونَ لطيفًا رفيقًا في أداك، وبخاصَّة -وأكرَّر وأؤكد-: أن ذلك -كله- مُتوجَّه إلى مسائل العلم، والاجتهاد فيها، والخطأ المتعلِّق بها، وما أشبه ذلك.

والله ربُّنا -جلَّ في علاه، وعَظُمَ في عالي سماءه-، ماذا يقول؟ يُخاطَب مَنْ في مَنْ؟ ربُّ العالمين يُخاطَب رسوله في كتابه تجاه أشرف النَّاس وأعظمهم -وهم الصَّحابة الكرام- رضي الله عنهم -: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ لم يكن -فقط- ثمة نفيٍّ للسَّلبِيَّات؛ وإنما كان -مع نفي السَّلبِيَّات- إثباتُ الإيجابِيَّات؛ حتى يتمَّ الأمرُ على وجهه، وحتى تكتملَ الصورة من سائر أطرافها.

□ وقال -أيضًا- ..

♦ والكلام للإمام الذهبي في «السَّير» في (١٤ / ٣٧٦) ..

□ «ولو أن كلَّ مَنْ أخطأ في اجتهاده -مع صحَّة إيمانه، وتوخييه لاتِّباع

الحق- ..

♦ إذن: هذان شرطان أساسيان.

الخطأ إذا كان صادرًا من إنسانٍ إيمانه غير صحيح، أو عقيدته غير صحيحة، أو منهجه منحرف؛ فإنَّ الخطأ الذي يصدرُ منه يُلحق بهذا الانحراف في إيمانه، أو في اعتقاده، أو في منهجه. أمَّا إذا كان اعتقاده صحيحًا، وإيمانه صحيحًا، ومنهجه صحيحًا، وأخطأ خطأ ما؛ فهذا لا بُدَّ أن يُستعمل فيه حديثُ النَّبي الكريم ﷺ: «أقبلوا ذوي الهيئاتِ عثراتهم».

وفي ذلك من الآثار والنصوص عن السلف الصالح في احتمال خطأ المخطئ في القضايا الاجتهادية، في القضايا العلمية؛ كما قال الإمام مالك: «ما مِنَّا إِلَّا رَأُوْهُ وَمَرَدُوْهُ عَلَيْهِ؛ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ» .

□ «ولو أن كلَّ مَنْ أخطأ في اجتهاده -مع صحَّة إيمانه، وتوحيه لاتِّباع الحق- أهدرناه وبدَّعناه؛ لقلَّ مَنْ يَسلم من الأثمة معنا! رحم الله الجميع بِمَنِّهِ...» .

◆ إذا كان هذا بأئمة العلم؛ فكيف بعامة العلماء؟! فكيف بطلاب العلم مَنْ يُعرفون باستقامة المنهج والحرص على الحقِّ واتِّباعه وسلوكه؟! فهذا أولى وأولى أن يُعذر؛ لأنَّه مظنةُ الخطأ؛ باعتباره حدَّثاً، أو حديثاً في العلم والمعرفة، فإذا كان -هنالك- شيء من المَعذرة للأئمة والكبار؛ فأولى وأولى أن تكونَ المَعذرةُ لِمَنْ دُونَهُمْ، وبالشرط نفسه.

□ وذكر ابن الجوزي: أن من التَّجريح ما يكون الباعث عليه الهوى؛ قال -في كتابه «صيد الخاطر»، (ص ١٤٣)-: «لقيتُ مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم ..

◆ هنالك الإمام، هنالك العالم، هنالك طالب العلم القوي، هنالك العلم المبتدئ..

□ وكان أنفعهم لي في صحبتِهِ: العاملُ بعِلْمِهِ -وإن كان غيره أعلم منه- ..

◆ ليست القضية -أيها الإخوة- بكثرة العلم؛ كما قال بعضُ أئمة السلف -وأظنه: سفيان الثوري، أو الحسن البصري-، قال: «ليس العلم بكثرة المسائل؛ إنَّما العلمُ الخشية» .

ما فائدة أن تحفظَ لتكونَ نُسخةً زائدةً من شريطٍ أو من كتابٍ أو من قرص؛ ثم لا يكون منك العملُ بالعلم، ولا يصدرُ عنك نورُ العلم، ولا تقوم بحقوق وواجبات هذا العلم لتُخالف ما تُعلمه

النَّاسَ وما تُلقِّنه لهم؛ فتبهرُّهم من جهةٍ، وتفجعهم من جهةٍ أخرى!! بعيدًا عن الصِّدْق، وبعيدًا عن الحِلْم، وبعيدًا عن السَّداد والاستقامة؛ وهي صفاتٌ يوفِّق الله إليها مَنْ استقام على أمره، ومن اتَّبَعَ هدي نبيِّه -عليه الصَّلاة والسَّلام- ولو كان قليلَ العلم -.

«ليس العلمُ بكثرة المسائل؛ ولكنَّ العلمُ الخشية».

هذا الذي يجب أن نتفهَّمه، وأن نعرِّفه، وأن ندركه، وأن نتذكَّره، وأن نُذكِّر به، وأن نتذكَّر فيه

-بشأنه-..

وكلُّنا ذوو خطأ؛ لكن: فرقٌ بين مَنْ يخطئ ثم يُنِيب ويرجع ويتراجع، وبين مَنْ يخطئ فيُصِرُّ ويستكبر ويكذب ويكذب؛ تمشيَّة لحاله، وتسويغًا لأحواله!!

هذه المصيبة!!

لذلك: ماذا كانت كلمة الإمام ابن الجوزي؟

وهي كلمةٌ واقعيَّة، يُبيِّن فيها أحوالًا حدثت معه، ليست مجرد نظريَّات..

كلنا قد يتكلَّم في النظريَّات، في الصَّبْر، في الحِلْم؛ لكنَّه إذا ابتلي بأقلِّ أمر؛ فإنَّه يثور ويثور من معه؛ فبالتَّالي يكون قد فشل في أوَّل امتحان.

لكن: إذا كان مثل هذا الإنسان ذا عِلْمٍ -ولو قليل، ولو كان قليلًا هذا العلم-؛ لكن: معهُ

العملُ به؛ إخلاصًا لله، ومُتَابَعَةً لِسُنَّةِ رسول الله ﷺ؛ فإنَّ قليلَ العلم -على هذا النَّحو- خيرٌ -بألف مرَّة ومرة- من كثيرِ العلم قليلِ العمل -الذي يَفقد نورَ الإخلاص، ويَفقد حلاوة السُّنَّة، ويَفقد الصِّدْق مع نفسه، والصِّدْق مع ربِّه- قبل أن يَفقد الصِّدْق مع الآخرين-.

□ ولقد لقيتُ جماعةً من علماء الحديث يحفظون، ويعرفون، ولكنهم:

كانوا يتسامحون بغيبته، ويخرجونها مخرج جرح وتعديل..

◆ الجرح والتَّعديل له ضوابطه، وله أصوله.

والغيبه الجائز منها: له ضوابطه، وله أصوله.

أما أن تكونَ نَيْتُكَ التَّشْفِي، وأن تكونَ نَيْتُكَ الْبُرُوز، وأن تكونَ نَيْتُكَ الاستعلاء والتَّطَاوُل، ثم إذا بك تحشّر ذلك تحت طائلة الجرح والتَّعْدِيل؛ فَبُعْدًا لك وُسْحَقًا!! على هذه المعاني الفاشلة، وعلى هذه الأهواءِ الباطلة التي تجعلُ الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقًّا -بسبب هذه الأهواء-.

لذلك: أَلَفَ الإمامُ الشُّوكَانِيُّ -رحمهُ اللهُ- رسالةً مَمتعَةً جَمِيلَةً سَمَّاها: «رَفْعُ الرِّيِّيةِ عَمَّا يَجُوزُ وما لا يَجُوزُ مِنَ الْغِيبةِ».

الأصلُ في الْغِيبةِ أَنَّها مُحَرَّمَةٌ؛ لكن: يُسْتثنى من هذا التَّحْرِيمِ مُسَوِّغاتٌ تجعلُ صُورًا منه مُباحةً؛ بل قد تكون واجبةً -في بعضِ الأحيان-، مِنْ بابِ حِفْظِ الْأُمَّةِ مِنْ أَنْ يَغْتَرَّوا بِأُمثالِ هذا الْمُعتَدِي، وأُمثالِ هذا المُكابِرِ، وأُمثالِ هذا الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ -قبل أن يَظْلِمَ غَيْرَهُ-.

ولذلك: قال قائلهم -من أهل العلم-:

الْقَدْحُ لَيْسَ بِغِيبةٍ فِي سِتَّةٍ .. مُتَظَلِّمٌ وَمُعَرِّفٌ وَمُحَدِّرٌ

وَمُجَاهِرٌ فَسَقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ .. طَلَبَ الْإِيعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرٍ

فهذه ست بستٌ تجوز -بل تجب- في بعض الأحيان -حفاظًا على سلامة الأمة، وحفاظًا على نقاء صُدُورِها، وحفاظًا على سلامةِ مجتمِعِها مِنْ أَنْ يَدْخُلَهُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهُ.. مِنْ أَنْ [يَتَسَنَّمَ] فِيهِ غَارِبُهُ، أَوْ أَنْ يَسْتَعْلِيَ عَلَى ذُرَاهُ بَعْضُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ مَنْ قَدْ يُغَرَّرُ النَّاسُ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ مِنَ الْحِفْظِ أَوْ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا تَقْوَى تَدْفَعُهَا، وَلَا هَدًى يُؤَيِّدُهَا -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-.

فكيف إذا اجتمعت هذه الخصال الست -أو بعضها- في فردٍ يحسبُ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ صُنْعًا؛

يَظْهَرُ لِلنَّاسِ عَلَى صِفَةٍ، وَحَقِيقَتُهُ عَلَى صِفَةٍ أُخْرَى؟!!!

وهذا حال ما ذكرهُ الإمامُ ابنُ الجوزي -فيما ذكرهُ شَيْخُنَا الشَّيْخُ عبدُ المحسن- حَفْظُهُ اللهُ

وَرَعَاهُ-.

□ ولقد لقيتُ عبد الوهَّاب الأنماطي؛ فكان على قانون السَّلف، ولم يُسمَع في مجلسه غيبته...» .

◆ كونه لم يُسمَع في مجلسه غيبة: لا ينفي هذا أن يكونَ عنده الجرح والتَّعديل؛ لأن الغيبة محرَّمة؛ بينما الجرح والتَّعديل مُباح، وقد يكون واجباً -في بعض الأحيان- .
فلا نخلط .

بعضُ النَّاس: من شدَّة ورَعِهم الكاذب؛ قال: (والله -يا أخي- أنا لا أستطيع أن أستعيذَ بالله من الشَّيطان الرَّجيم حتى لا أستغيه)!!! هذا ورعٌ بارد!! وكلام لا وجه له -لا في عقل، ولا نقل- !!

وكذلك له أمثال من التَّورعات التي لا تقوم على ساقٍ، ولا تُبنى على أصلٍ .

□ وقال -في كتابه «تلبيس إبليس» (٦٨٩/٢)-: «ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث ..

◆ إذن: نحن عندما نفتخرُ أننا من أهل الحديث، أو أننا من أصحاب الحديث -وَحَقُّ لنا: أن نفخر، وحقُّ لنا أن نفتخر؛ بما يزيدنا فيه ربُّنا ثباتاً على هذا المنهج، واستقامةً عليه-؛ لكن -في الوقت نفسه-: يجبُ أن نعلمَ أن منهجنا -وإن كان تقيّاً نقيّاً-؛ لكن قد يُصيّبنا الخلل، وقد يُصيّبنا الزَّلَل، وقد يُصيّبنا الهوى، وقد يُصيّبنا الانحراف، وقد يأتينا التَّلبيس، وقد يأتينا التدليس! ونحن نحسب أننا من المحسِّنين صُنْعاً!!

□ «ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث ..

◆ أي: على بعضهم -بداهةً- .

□ قدَح بعضهم في بعض؛ طلباً للتَّشفي ..

◆ فقط إرضاءً للقلوب المريضة، ومُتابعةً للنفوس الضَّعيفة، والأهواءِ البغيضة.

□ ويُخرجون ذلك مخرج الجرح والتَّعديل الذي استعمله قداماء هذه الأُمَّة للذَّبِّ عن الشَّرْع ..

◆ إذن: فرقٌ بين أن يكونَ منك نقدٌ أو طعن تطلبُ منه التَّشْفِي، وتسير وراءه - لا أن يسير وراءك-.

والفرق الآخر: مع مَنْ ينتصر للدين بالجرح والتَّعديل، ينتصرُ للشَّرْع الحكيم في الجرح والتَّعديل -ضمن ضوابطه، ودقائقه، وشروطه- ليس بالهوى؛ وإنما بالهدى-.

□ وإذا كان هذا في زمن ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) وما قاربه؛ فكيف بأهل القرن الخامس عشر؟!!

◆ من باب أولى: أن يكونَ -ثمة- هوى أكثر، وأن يكونَ -ثمة- انحراف أكثر، وأن يكونَ -ثمة- زيف أكثر -ولو تحت يافطات بَرّاقة، أو أسماء لماعة-!!

وهذا -أيها الإخوة- ما جعل شيخنا الشيخ أبا عبد الرحمن محمَّد ناصر الدين الألباني -تغمَّده الله برحمته، وجمعنا وإياكم وإياه في جنة الله، في صحبة النّبِيِّين والصّديقين والشُّهداء والصّالحين- وحسن أولئك رفيقًا-؛ هذا الذي جعله يقول -ولنعم ما قال-!-: «هذا الزَّمان ليس زمانَ هجر»؛ لماذا؟ لأنَّ كثيرًا من الأهواء تضطربُّ على أصحابها؛ فتظنُّ أنها تهجرُ الله، وتكون هاجرةً للهوى! تكون هاجرةً للشَّخصيَّة! تكون هاجرةً للذات! ليس -في ذلك- ذلك التأثير المرضي المبني على نُصرة الشَّرْع وحماية الدِّين.

ومع ذلك -حتى تنضبط الصُّورة-، أقول:

في الوقت الذي كان شيخُنا -رحمه الله- يقول: «هذا الزَّمان ليس زمانَ هَجْرٍ»؛ لكنَّه استعمل الهَجْرَ، وطَبَّقَ الهَجْرَ، ونفذَ الهَجْرَ، ومات وهو هَاجِرٌ لأناسٍ، ومات أناسٌ وهو هَاجِرٌ لهم، أو مهجورون منه..

ولا نُريد أن نذكرُ أسَاءَ؛ فقد أفضوا -جميعاً- إلى رحمةِ الله؛ لكنَّنا نذكرُ ذلك؛ حتى لا يفهمواهم، أو يتوهم فاهم: أنَّنا نمنع الهَجْرَ بالكلية.

فالهَجْرُ إذا دُرس، وكان مَبْنِيًّا على نظرةٍ شاملةٍ لمعرفةِ المصالح والمفاسد، وكان فيه التَّشاورُ والتَّنَاضُحُ والتَّوَصُّي في ذاتِ الله، وكانت دواعي الهوى بعيدةً، وأسبابُ التَّشَفِّي بعيدةً -أيضاً-؛ حينئذٍ: يكون هذا الهَجْرُ مشروعاً؛ بل قد يكون -في بعض الأحيان- واجباً. فلا نَخْلُطُ.

وكذلك: الجرح والتَّعْدِيلُ قد يكون واجباً.

لا نَخْلُطُ بين وجوب الجرح والتَّعْدِيل -أحياناً-، وبين تحريم الغيبة -دائماً-؛ فقد يختلطان على بعضِ الأذهان، وليس ذلك بجيِّد.

والكلام لا يزال لشيخنا الشيخ عبد المحسن:

□ وقد صدر -أخيراً- رسالةٌ قيِّمةٌ بعنوان: «الإبانة عن كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مع الخلاف بين أهل السُّنَّة والجماعة»، تأليف: الشيخ محمد بن عبد الله الإمام -من اليمن-، وقد قرَّضها خمسة من مشايخ اليمن ..
◆ نعم.

هذه رسالة -يعني- كتاب في نحو مئتي صفحة -أو زيادة-، وهو كتاب طيِّب، وكُتِبَ على غِلافه -مما لم يذكره شيخنا- حفظه الله-: (راجعهُ: الشيخ ربيع بن هادي).
فالأصلُ أن يكون ما في الكتاب -بالجملة-..

ولا نُلْزَمُ غَيْرَنَا كَمَا أَلْزَمُونَا لغير وجهٍ حقٍّ..

لا عِصْمَةَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولا كِهَالٍ إِلَّا لِكَلَامِ اللَّهِ وَعِظْمَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ وبِالتَّالِي: فكلُّ مَنْ رَاجَعَ، أَوْ قَرَّظَ، أَوْ أَقَرَّ، أَوْ أَثْنَى عَلَى كِتَابٍ؛ لَا يَلْزِمُهُ أَنْ يَكُونَ مُثْنِيًّا عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ فِيهِ، أَوْ عَلَى كُلِّ مَعْنَى فِيهِ، أَوْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهِ..

فَإِذَا قِيلَ: هَذَا مِمَّا تُؤَيِّدُهُ وَأَقَرُّ؛ الْحَمْدُ لِلَّهِ: هَذَا يَلْزِمُهُ.

أَمَّا إِذَا قِيلَ: هَذَا يَلْزِمُكَ -باعتبارك أنك قررت، أو أثنت، أو راجعت..-، وقلت: لا يَلْزِمُنِي هَذَا، أَنَا إِنَّمَا مَدَحْتُ الْكِتَابَ بِالْجُمْلَةِ، وَهَذَا الْكِتَابُ مَهْمَا مَدَحْتُهُ -أو مدحه غيري-؛ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ خَلَلٌ؛ لِأَنَّ الْمُؤَلِّفَ لَهُ بَشَرٌ كَالْبَشَرِ -يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَيَعْلَمُ وَيَجْهَلُ-.

فَنَحْنُ نَقُولُ: يَلْزِمُ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْمُرَاجِعِ لِهَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَقُولَ بِكُلِّ مَا فِيهِ؛ إِلَّا إِذَا نَفَى وَقَالَ: (أَنَا لَا أَقُولُ)؛ فَحِينَئِذٍ نَعُذُّرُهُ، وَقَدْ نَعْتَذِرُ لَهُ.

عَلَى أَنَّنِي أَقُولُ: هَذَا الْكِتَابُ -حَقِيقَةٌ- كِتَابٌ جَيِّدٌ، وَهُوَ يَكَادُ يَكُونُ نَسْخَةً ثَانِيَةً -بِنُقُولِهِ وَمَقَاصِدِهِ- عَنْ كِتَابِي «مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي تَرْجِيحِ الْمَصَالِحِ، وَتَطْوِيعِ الْمَفَاسِدِ وَالْقَبَائِحِ، فِي أَصُولِ النَّقْدِ وَالنِّصَائِحِ».

فَعِنْدَهُ مِثَّةٌ نَقَلَ عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ؛ أَنَا عِنْدِي مِثَّةٌ نَقَلَ وَعِشْرَةُ نُقُولٍ.

عِنْدَهُ أَرْبَعُونَ نَقْلًا عَنْ ابْنِ الْقَيِّمِ؛ عِنْدِي ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ.. وَعَلَى هَذَا فَقِسْ.

وَكِتَابِي قَبْلَ كِتَابِهِ بِسَنَةٍ كَامِلَةٍ، وَقَدْ أَوْصَلْتُ كِتَابِي إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُطْبَعَ، وَلَا أُمْنَعُ -أَبَدًا- أَنْ يَسْتَفِيدَ هَذَا الْأَخُ الْفَاضِلُ -أَوْ غَيْرُهُ- مِمَّا أَكْتُبُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَاتُ الْعِلْمِيَّةُ النَّيِّرَةُ الْمُبَارَكَةُ؛ لَيْسَتْ حِكْرًا عَلَى زَيْدٍ أَوْ عَمْرٍو؛ بَلْ هِيَ نُورٌ يَنْتَشِرُ، وَأَنْوَارٌ لَا تَنْدَثِرُ..

لَكِنْ: الْأَهَمُّ مِنَ الْعِلْمِ بِهَا: الْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهَا؛ حَتَّى يَكْتَمَلَ النُّورُ، لَا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مِثْلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ؛ كَمِثْلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ، ثُمَّ يَحْرِقُ نَفْسَهُ».

فَالْأَمْرُ خَطِيرٌ!!

ووالله؛ إن الجهل لأهون - ألف مرة - من علم لا يهدي صاحبه.. من علم لا ينفع القائم به.. من علم يتكثر فيه القائل به على غيره؛ لئس يسيطر عليهم، أو يتعاضد عليه، أو أن يكون له منهم مآرب شخصية، ومقاصد دنيوية، لا ينالها بطاعة الله؛ وإنما يتناولها بمعصية الله.

□ وقد اشتملت ..

◆ هذه الرسالة - «الإبانة» - ..

□ على نقول كثيرة عن علماء أهل السنة - قديماً وحديثاً - ولا سيما شيخ

الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم ..

◆ (ولا سيما): يأتي بعدها رفع، ويأتي بعدها نصب.

يجوز أن نقول (ولا سيما) بمعنى: أخص؛ (ولا سيما شيخ الإسلام)، ويجوز أن أقول: (ولا

سيما شيخ الإسلام)

□ وهي نصيحة لأهل السنة لإحسان التعامل فيما بينهم.

◆ أنا أقول: يا إخواني! والله الذي لا إله إلا هو: لو أننا طبّقنا عُشر ما نعلم - حتى به نعمل -؛

لفُزنا، ولَسُدنا.

والنبي ﷺ ماذا يقول؟

«والذي نفسي بيده: لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه».

هل تُحب أن تُغرَّر في النَّاس؟

هل تُحب أن يُغرَّر فيكَ النَّاس؟

فلماذا تحب أن تُغرَّر فيهم؟!

هل تُحب أن تجعل النَّاس ألعوبةً بين يديك؟ أو أن تكون ألعوبةً بين أيديهم؟

فما بالك ترضى لنفسك ما لا ترضاه لغيرك!!؟

لو كان عندنا العلم والعمل والإخلاص -في هذا الحد الأدنى: في العشرة في المئة- فقط؛ لسُدنا وربحنا.

والنبي ﷺ يقول..

ويكأن هذا الحديث ينطبق على جوانب كثيرة من واقعنا -ووقائِعنا-..

يقول النبي الكريم ﷺ يُخاطب أصحابه الكرام -رضي الله عنهم وأرضاهم:-

«إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلُمَاؤُهُ، قَلِيلٍ خُطْبَاؤُهُ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي كَثِيرٌ خُطْبَاؤُهُ، قَلِيلٌ عُلُمَاؤُهُ، إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَن تَرَكَ فِيهِ مِيعَاشَ مَا أُمِرَ بِهِ؛ فَقَدْ هَلَكَ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي مَن عَمِلَ فِيهِ بِمِيعَاشِ مَا أُمِرَ بِهِ؛ فَقَدْ نَجَا».

حتى هذا المعشار والذي كان التَّرك له سبباً للهلاك؛ فصار في آخر الزَّمان العملُ به باباً للنَّجاة!

حتى هذا المعشار الذي هو سبيل نِجاة؛ فَإِنَّ خُذْلَانَ اللَّهِ لِبَعْضِ خَلْقِهِ؛ جَعَلَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ

الْقِيَامَ -ولو بهذا المعشار-!!

فَمَن كَانَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ: يَجِبُ أَنْ يَبْكِيَ بَدَلَ الدَّمْعِ دَمًّا، وَأَنْ يُعَلِّقَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ، وَأَنْ يَقْرَأَ

قُرْآنَهُ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِيهَا حِفْظًا وَاسْتَظْهَرًا مِمَّا لَيْسَ لَهُ نُورٌ عَلَى جَوَارِحِهِ، أَوْ وَقَائِعَ -في حاله وأحواله-؛

حَتَّى يَعُودَ، وَحَتَّى يَرْجِعَ، حَتَّى يَتُوبَ، وَحَتَّى يُنِيبَ؛ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ صَدَقَ مَعَ نَفْسِهِ لِيَصْدُقَ مَعَ غَيْرِهِ،

فَإِنْ لَمْ يَصْدُقْ مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ غَيْرِهِ؛ فَلَنْ يَصْدُقَ مَعَ رَبِّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

□ وهي نصيحة لأهل السُّنَّة لإحسان التَّعامل فيما بينهم.

◆ والله؛ لا نحتاج إلى كثير نصيحة؛ بقدر ما نحتاج إلى العمل بشيءٍ قليلٍ من هذه النَّصَائِحِ.

وَأَمَّا أَنْ تَسْمَعَ، وَأَنْ تُطَاطِعَ رَأْسَكَ، وَكَمَا يُقَالُ -في بعض البلاد-: (كمثل طاعةِ القُرود)!!

تُطأطئُ رأسك، ولا ترفعُ لها حقًا، ولا تُقيمُ لها وزنًا؛ فهذه طائفةٌ كُبرى -نسأل الله أن يُنجينا وإياكم-.

□ وقد اطلعتُ على كثيرٍ من مباحث هذه الرسائل، واستفدت منها الدلالات على مواضع بعض النُقول التي أوردتها -في هذه الكلمة- عن الإمامين ابن تيمية وابن القيم. ♦ رحمهما الله.

□ فأنا أوصي بقراءتها والاستفادة منها. وما أحسن ما قاله .. ♦ أي: المؤلف.

□ في هذه الرسائل - (ص ١٧٠) -: «وقد يُجرَّحُ المعتبرُ بعضَ أهلِ السُّنة .. ♦ المعتبر: يعني العالمُ المُنضبط، الذي ليس من أهلِ التَّشدد، وليس من أهلِ التَّساهل؛ إنما هو مُعتبر؛ أي: مُنضبط.

□ «وقد يُجرَّحُ المعتبرُ بعضَ أهلِ السُّنة، فتتشبِ فتنةُ الهجر والتَّمزيق والمضاربات، وقد ينشب القتال بين أهلِ السُّنة -أنفسهم-، فعند حصول شيء من هذا .. ♦ لم يقل: فعند حصول هذا.

عبارة دقيقة جدًا، وجميلة جدًا -جزاهُ اللهُ خيرًا في كتابتها، وجزى اللهُ خيرًا شيخنا في التَّنبه عليها، واقتناصها، والتذكير بها، والإفادة منها، وبها-.

يعني: لا يلزم لترك تحريج هذا المعتبر أن يحصل هجرٌ وتمزيق ومضاربات وقتال؛ بل لو حصل شيءٌ من ذلك؛ لكفى في طيِّ صفحة هذا التَّجريح الذي يؤثر هذا التأثير.

ولا يزال كلاً منّا في مسائل العلم، في الاجتهاديات من المسائل - لا في مسائل الأهواء، ولا في المسائل الشخصية، ولا في مسائل الفسق والفجور والكذب والدجل والتلبس والتدليس - .
كلّنا في مسائل اجتهادية يخطئ فيها العالم - أو طالب العلم - عن نظرٍ؛ فنخطئه ولا نهذره أو نهجره.

□ فعند حصول شيء من هذا؛ يُعلم أن الجرح قد أدى إلى الفتن؛ فالواجب:
إعادة النظر في طريقة التجريح، والنظر..
♦ أو: النظر؛ يجوز الوجهان.

□ في المصالح والمفاسد، وفيما تدور به الأخوة، وتحفظ به الدعوة،
وتعالج به الأخطاء، ولا يصلح الإصرار على طريقة في الجرح ظهر فيها
الضرر.

♦ أنا أقول -أيضاً: هذه لفظة ذكية وزكية-: لم يركّز الكاتب -جزاه الله خيراً- في كلمته - على ترك خطأ المخطئ؛ بقدر ما ركّز على طريقة معالجة خطئه التي أوقعت الأمة في فتنه - .
وأنا أقول -وأشهد الله على ما أقول-، وإني أسافر كثيراً، وألتقي -سواء بالهاتف، أو في الإنترنت، أو في المراسلات- بكثير من الإخوان، في كثير من البلاد.. أقول:

لم [...] بالدعوة السلفية المباركة من أبغض الناس إليها ومن أشدّ خصومهم فيها ما حصل من
جهة بعض دعايتها تحت اسم الجرح والتعديل!، وتحت اسم نصره السنة!؛ حتى صار ذلك -كما قلتُ
في بعض المجالس- أشبه بحال ذلك الدب الذي له صاحبٌ أنقذه من بعض الأشرار، ومن بعض
المصائب التي حلّت فيه، فبقي هذا الدب يحفظ وُدّاً لصاحبه، فإذا به ينام، فرأى الدب على رأس
صاحبه دُبابة، فأراد أن يقتل الدُبابة -حتى يرتاح صاحبه-، فأمسك بصخرة، فضرب بها الدُبابة،
فحطّم الأضراس، وهشم منه الرأس!

هذا حال الغلاة الذين يَظُنُّون أَنَّهُمْ يُحَسِّنُونَ صُنْعًا فِي نُصْرَةِ السُّنَّةِ، وإحياءِ منهجِ العلم، والجرح والتعديل.. -دون قواعد، ولا ضوابط-..

لذلك: جاءت هذه الكلمات الذهبية من شيخنا الشيخ عبد المحسن -حفظه الله ورعاه-؛ لاستدراك ما يُمكن استدراكه في هذه الفتنة العمياء، وهذه المحنة الصَّماء التي يتكلَّم أهلها كأنَّهم أوصياء على الملَّة، وكأنَّهم حُرَّاس هذه الدَّعوة، وهم -إن كان لهم أكثر ما يكون-؛ فلا يَعُدُّون أن يكونوا كغيرهم.

أما أن يكون كلام الواحد منهم، أو أن يُظن أن كلام الواحد منهم -ولو بلسان الحال، وأحياناً: بلسان المقال-: أَنَّهُ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فهذا عين الفساد، وعين الإفساد!! في الوقت الذي يتَّهمون به غيرهم بشيء من هذا الفساد، أو ذلك الإفساد!!

فكيف الحال فيمَن قال: (أنا لستُ معصوماً؛ لكن: لا أعرفُ لي خطأ في المنهج)!!

فأيُّ عصمة مدَّعة أكبر من هذا وأكثر من هذا؟!!

ولو تهرَّبْتَ -بلسان القول- من أَنَّنَا لستُ بمعصوم؛ لكنَّ الواقع الذي تُمارِسُه، وتُمارِس عليك؛ هو في أعلى درجات العصمة التي يكاد يكون التشبُّه فيها، والتشبيه بشأنها كأئمة الشيعة الثلاثة عشر -ولا أقول: الاثني عشر-.

□ وما من شكٍّ أن المشايخ وطلبة العلم الآخرين من أهل السُّنَّة يشعرون

بما شعر به هؤلاء الإخوة اليمينيون ..

◆ ليس اليمينيون -فقط-؛ بل الشَّاميُّون، والنَّجديُّون، والمصريُّون، والغربيُّون، وفي بلاد

أوروبا وأمريكا.. حتى -والله- امتُحِنَ بعضُ النَّاسِ بشيءٍ من هذه المسائل؛ فارتدُّوا عن الدِّين!!

في عُنى من هذا البلاء؟!!

وفي ذمَّة من هذه اللأواء؟!!

ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

□ وما من شك أن المشايخ وطلبة العلم الآخرين من أهل السنة يشعرون بما شعر به هؤلاء الإخوة اليمينيون، ويتألمون لهذه الصُّرقة والاختلاف، ويرغبون تقديم النصيحة لإخوانهم، وقد سبق إليه الإخوة اليمينيون؛ فجزاهم الله خيراً.

◆ أقولها لليمنيين، والشَّاميين، والحِجازيين، والنَّجديين، والمصريين، وغير هؤلاء وأولئك من جميع المسلمين الدُّعاة إلى منهج السَّلف الصَّالحين:

إن لم تُترجموا هذه الآثار، وهذه المقولات الكثيرة، بحُجَّةٍ واقتدار -في واقع ملموس، وحال محسوس-؛ فحينئذٍ يكون كلامكم حُجَّةً عليكم، ويكونُ وبالاً عليكم، ويكون ظُلماً منكم لأنفسكم -قبل أن يكون ظُلماً منكم لغيركم-.

□ ولعل لهذه النصيحة نصيباً من قوله ﷺ: «الإيمانُ يمان، والحكمة يمانية» رواه البخاري (٣٤٩٩)، ومسلم (١٨٨).

والمأمول: أن تكون هذه النصيحة من الإخوة اليمينيين مُحَقَّقَةً للغرض من كتابتها ونشرها ..

◆ «الإيمانُ يمان، والحكمة يمانية»: هذا حديثٌ صحيح -على العين والرأس-؛ لكن: له إطاره، وله مقداره.

فقد رأينا من بعضِ اليمينيين حماقة!

نعم.. عند [بعضِ] الشَّاميين حماقة!

وعند بعضِ المصريين حماقة!

وعند بعضِ الحِجازيين حماقة!

لكن: نتكلَّم عن هذا الإطار..

فهذا الذي يَنْظر من أجل قولٍ قاله، أو اجتِهادٍ اجتهدَه، لا يَهْمُه خرابُ الدُّنيا في سبيل أن يَثْبَتَ قوله!! أليست هذه حماقة؟!!!

لو كان يمينيًّا، أو غير يمنيٍّ.. مع احترامنا وتقديرنا لإخواننا في اليمين، وأكثرهم أصحابَ حكمةٍ -فعلاً-، وأكثرهم أصحابَ يُمينٍ -فعلاً-؛ لكن: عليهم أن يكونوا شُجعان، عليهم أن يكونوا أصحابَ جُرأة، عليهم أن يكون دعاةٌ إلى الحقِّ بالحقِّ؛ كما قال النبي ﷺ: «إنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً».

أما ازدواجيةُ المعايير والمكايل -من هُنا وهُنَاك وهنالك- في أن تُطبَّق هذه المعايير على زَيد، في الوقت الذي تَغُضُّ فيه الطَّرْف عن عمرو!!

فهذا ظُلم ثلاثيٌّ!! ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله.

وقد أعجبتني كلمة قالها بعض المندفعين -ولا أقول: بعض الحمقى-..

وأحياناً -كما يُقال في المثل- نستفيدُ منه جانباً، ولا نُلْبِسُه -كلَّه- الواقع..؛ يقولون: خُذُوا

الحكمةَ من أفواه المجانين!!

فليس كلُّ أحقٍّ يخرج منه الباطل، وليس كلُّ مُتسرِّعٍ يخرج منه الباطل..

فقد خرجتُ كلمةً من مُتسرِّع، ومن إنسان يغلبُ لسأئه عقله؛ فإذا به يقول:

(إما أن ترجعوا عن تغليطِ كتابِ منهج السَّلف الصَّالح والتَّبديع له؛ وإمَّا أن تُبدَّعوا وتجَرَّحوا

كتاب محمد الإمام: «الإبانة».

أما أن تنتقدوا هذا الكتاب، وتُثَنُّوا على هذا الكتاب، وهما من مشكاةٍ واحدة؛ فهذا عين

الاضطراب، وعين التناقض!!!!

لذلك قلنا: نحن بحاجة إلى صِدق، نحن بحاجة إلى شجاعة، نحن بحاجة إلى عمل بهذا

العِلْم، من غير أن يكونَ لنا قول على قول -من غير بيِّنة ولا حُجَّة-.

□ ولا أظن أن أحداً من أهل السُّنَّة يُؤيِّد هذا النَّوع من التَّجريح، والاهتمامَ بالمتابعة عليه، وهو لا يُثمر إلا العداوة والبغضاء بين أهل السُّنَّة، وغلظ القلوب وقسوتها.

◆ نعم والله؛ إن هذا هو الواقع.

يقول: إن هذا النَّوع من التَّجريح، والاهتمامَ بالمتابعة عليه: (هذا مبتدع، ومن لم يبدع المبتدع؛ فهو مُبتدع، ومن سكتَ عن هذا الذي لم يبدع المبتدع؛ فهو مبتدع!! وهكذا دواليك...! في فتنة لها أوَّل وليس لها آخر!! لا يدعمها حقُّ، ولا [...] هدى، ولا يلفها [...].

□ ولا ينتهي عجب العاقل: أنه في الوقت الذي يسعى فيه التَّغريبُون للإفساد في بلاد الحرَمين بعد إصلاحها ..

◆ بل أقول: للإفساد في بلاد الدُّنيا -تغريباً، وإبعاداً، وإغراقاً في الشَّهوات والملذَّات، والفتن والمحن تحت اسم الحضارة، وتحت اسم التَّقدم، وتحت اسم الانفتاح، وتحت اسم المساواة...!!

□ ولا ينتهي عجب العاقل: أنه في الوقت الذي يسعى فيه التَّغريبُون للإفساد في بلاد الحرَمين بعد إصلاحها -ولا سيَّما الكارثة الأخلاقيَّة في منتداهم في جدة- الذي سمَّوه -زوراً-: «منتدى خديجة بنت خويلد»-والذي كتبتُ عنه كلمتاً بعنوان: «لا يليقُ اتِّخاذ اسم خديجة بنت خويلد عنواناً لـانفلاتِ النساء»؛ أقول ..

◆ هذه جُزئية خاصَّة متعلِّقة بفتن الشَّهوات؛ لكنَّه ضربها مثلاً على ما يقعُ من النَّاسِ مِنْ شُبُهاتٍ يُغفلون فيها موضوع الشَّهوات.

□ في هذا الوقت يكون بعضُ أهل السُّنَّة مُنشغلين بنيل بعضهم من بعض، والتَّحذير منهم!

◆ وهذا من الخذلان، وهذا من عدم التّوفيق، والأصل: التفريق بين المسائل العلميّة الاجتهاديّة -من جهة-، ومسائل التّبديع والتضليل التي تخالف أصول أهل السّنة، أو مسائل الكذب والافتراء، والفسق والشّهوات -من جهةٍ أخرى-.

فلا نُساوي بين الاجتهاديّات وبين غيرها مما يُخالفها.

□ وأسأل الله -عزّ وجلّ- أن يُوفّق أهل السّنة في كلِّ مكانٍ للتمسُّك بالسّنة، والتّألف فيما بينهم، والتّعاون على البر والتّقوى، ونبذ كلِّ ما يكون فيه فُرقة أو خلاف بينهم.

◆ آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ .. حتّى أبلغها ألفين آميناً

□ وأسأله -تعالى- أن يُوفّق المسلمين -جميعاً- للفقه في الدّين، والثّبات على الحقّ.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّدٍ، وعلى آله، وصحبه.

◆ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

نسأل الله لنا ولكم الثّبات، وحُسن الختام، والوفاء على الإيمان؛ إنّه سميعٌ مُجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفريخ واعتناء: أمّ زيدٍ

منتديات كل السّلفيين